-٣-

معركة حطين الحاسمة

١١٨٧م

obeikandl.com

معركة حطين الحاسمة ١١٨٧م

نتناول في الصفحات التالية معركة حطين التي وقعت بين الجيش الأيوبي ، وجيش مملكة بيت المقدس الصليبية ؛ من أجل إدراك أهميتها في تاريخ صلاح الدين الأيوبي ،و الصراع الإسلامي- الصليبي و النتائج المتعددة التي نتجت عنها .

و الواقع أن دراسة تلك المعركة تحتاج من المؤرخ ألا يقع في دائرة التفسير الفردي للتاريخ و ينسب كل شيء للبطل للفرد – كما أسلفت الإشارة من قبل – كذلك علينا أن ندرك الإشارات ذات الطابع الدعائي الذي تلمح بعض جوانبه في نصوص المصادر الأيوبية التي أرخت لتلك المعركة و كذلك المصادر المتأخرة التي نقلت عنها .تجدر الإشارة إلي أن مقدمات يوم ٤ يوليو ١١٨٧م ، وهو اليوم الذي جرت فيه وقائع تلك المعركة امتدت علي مدى تاريخ الوجود الصليبي في المنطقة ، إذ أننا نلاحظ أن المشاكل المتعددة التي واجهت الصليبيين مثل مشروعية الوجود و مشكلة الأمن . بالإضافة إلي مشكلة نقص العنصر البشري ،جميعها ظلت تلازم ذلك الكيان الغازي الدخيل إلي أن تضخمت و أمكن للمسلمين الاستفادة من كافة تلك الظروف لتوجيه ضربة حاسمة لأعدائهم بصورة غير مسبوقة .من ناحية أخري ، أدرك المؤرخ أن نوعية الملوك الصليبيين فيما بعد الملك عموري (١١٦٣- ١١٧٤م) لم تكن تستطيع مواجهة الأحداث الصاخبة التي أحاطت المملكة الصليبية خاصة أن أمراء الأطراف زاد نفوذهم علي حساب القلب السياسي الصليبي في بيت المقدس .من المهم إدراك ؛ أن تلك المملكة كانت تعاني من مشاكل اجتماعية نلاحظها من خلال الصراع المحتدم بين الصليبيين الأوائل الذين استقروا منذ عقود عديدة ،وأولئك الوافدين إليها الحديثي عهد بالبلاد ، وقد رأي الأولون أنهم بذلوا الدماء وقدموا التضحيات من أجل إقامة الكيان الصليبي علي أرض بلاد الشام ، وأن الجدد وجدوا الأمور ميسرة يريدون جنى اليافعة دون دفع

تضحيات ، كذلك ندرك ، ارتفاع معدلات الجريمة كالدعارة [1] و القتل ، والسرقة و الرشوة [2] و غيرها . و الأمر المؤكد أن الجريمة - بصفة عامة – تقدم مؤشراً قوي الدلالة يعكس حالة مجتمع ما، وبالنسبة لمملكة بيت المقدس ندرك بجلاء أنها سقطت اجتماعياً و أخلاقياً عام ١١٨٧م .و من المؤشرات ذات الدلالة ما نذكره عن تطرق

١- من المعروف أن من رجال الدين الصليبيين من كان يؤجر بعض البيوت لأعمال الدعارة نظراً لما تدره كمن مبالغ كبيرة ، كما نعرف من خلال جاك دي فتري أن عناصر البولاني أو الأفراخ انتشر الزنا بينهم ،قرر أسامة بن منقذ أن الصليبيين ليست لديهم غيره علي نسائهم ، واحتوت عكا علي حي الدعارة عرف بالحي الأحمر ، كما احتوى الجيش الصليبي علي عدة من العاهرات منذ الحملة الصليبية الأولي ، يقدم العماد الأصفهاني ، إشارات عن مقدم سفن الغرب الأوروبي عليها عاهرات ضمن أحداث الصليبية الثالثة عن ذلك أنظر :" الجريمة و العقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام " ، ضمن دراسات في تاريخ الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي (المجتمع الصليبي في بلاد الشام) ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ٥ – ص ٦١.

Joannes phocas, Abrief Description of HolyLand , Trans Aubrey stewart.P.P.T.S., vol .V,London 1896,p.11.

Jacques de Vitry,AHistory of Jerusalem ,p.II., Brundage ' prostitution , Miscegenation and sexual purity in The First Crusade", in Edbury (ed), Crusade and settlement ,Cardiff 1985,pp.57- 72.

العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ،ط. القاهرة ب- ت ص١٧٠.

يوشع براور ، عالم الصليبيين ،ت . قاسم عبده قاسم و محمد خليفة ،ط. القاهرة ١٩٨١م ،ص ٢٢١ ، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة ، ضمن كتاب بين الأدب و التاريخ ،ط، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٣٣ ، زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية ،ط. بيروت ١٩٥٨م ، ص ١٥٢ ،جمعه الجندي ، حياة الفرنج و نظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ،دراسة تطبيقية علي مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م ، ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٠ ، جبمس رستون (الابن)، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي ريتشارد قلب الأسد الحملة الصليبية الثالثة ، ت . رضوان السيد ،ط. الرياض ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٣.

٢- عن ظاهرة الرشوة ، في الكيان الصليبي أنظر : حسن عبد الوهاب " الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولي حتى سقوط بيت المقدس ١٠٩٥- ١١٨٧م ضمن كتاب مقالات و بحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ،ط. الإسكندرية ١٩٩٧م ، ص ٩٢، ص ١٥٤.

الفساد إلي رأس الكنسية ، وهي من المفترض أن تكون ذات طابع أخلاقي مثالي في نظر الصليبيين ، و خير مثال دال علي ذلك البطريرك هرقل ، وهو في الأصل شخصية دينية فرنسية ولدت في مقاطعة افريجين Auvergne في جنوبي فرنسا ، وقد قدم إلي بيت المقدس ، وقد صار قسيساً ، وتولي منصب رئيس شمامسة بيت المقدس خلال المرحلة من ١١٦٩- ١١٧٥م ، وفي أعقاب وفاة هرنسوس رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٧٥م ، تم انتخابه من فوره لكي يتولى المنصب الشاغر ، وقد مثل المملكة الصليبية خارجياً حيث توجه عام ١١٨٧مع وفد من رؤساء الأساقفة ،و رؤساء الكنائس ، و الأديرة إلي روما .

وفي أعقاب وفاة عموري نسل بطريرك بيت المقدس عام ١١٨٠ تم انتخاب هرقل لكي يخلفه في منصبه [١].

ومن الملفت للنظر أن ذلك البطريرك كانت له سلوكيات منحلة ، حيث أشار البعض إلي علاقة مشينة له مع ابنة أحد التجار الصليبيين في نابلس ،قد جعلها ذلك البطريرك

= ويقوم حالياً تلميذي النابه السيد/ احمد عبد الله احمد بإعداد أطروحة للدكتوراه عن الجريمة و العقوبة في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وأتوقع أن تكون قيمة و مهمة .

محمد الحاج عبده ربه ، أحوال الشعب في بلاد الشام في عهد الحملات الصليبية ١٠٩٨- ١٢٩١م ، رسالة دكتوراه ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،جامعة القديس يوسف بيروت١٩٩٦م، ص٩٩ – حاشية(١١) .

وعن الجريمة لدي الصليبيين بصفة عامة أنظر : حسن عبد الوهاب " الجريمة و العقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام" ضمن دراسات في تاريخ الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي (المجتمع الصليبي في بلاد الشام ،ط. الإسكندرية٢٠٠٠م ،ط. ص٥- ٦١.

١- عن البطريرك هرقل أنظر:

William of Tyre ,vol.II,pp.436- 451.

سعيد البيشاوي ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ،ط. الإسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٢٨٠ حاشية (١) ،مارشال بلدوين ، اضمحلال و سقوط بيت المقدس ١١٧٤- ١١٨٩ م ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير سعيد البيشاوي و محمد مؤنس ، ص ٢٨٥ ، حاشية (١٧) .

obeikandl.com

تحضر إليه في بيت المقدس عدة مرات ، وقدمت إليه حيث مكثت خمسة عشر يوماً في أعقاب وفاة زوجها ، وقد أشترى لها منزلاً جميلاً في المدينة المقدسة كي تكون بالقرب منه [1] ؛ مما عكس فساده ،و قدرته المالية ، وأن تلك الواقعة اشتهرت بين الناس حينذاك علي الأرجح .

ولا مراء في أن ذلك الانحلال الخلقي الذي وصل إلي رأس المؤسسة الكنسية يجعلنا ندرك أن القطاعات الأدنى تطرق إليها الفساد ، طالما أن قادتها علي هذا النحو من الانحلال .

و يلاحظ أن ذلك السلوك الشائن للبطريرك هرقل قد جعل وليم الصوري ساخطاً علي أوضاع المملكة الصليبية بصفة عامة ، ويدرك أن المناصب ذهبت لغير أصحابها ،و بالتالي توقع لها بالانهيار .

و من ناحية أخري ، إذ ما نظرنا إلي الفريق الآخر في صورة المسلمين ؛ نجد أن صلاح الدين الأيوبي أكمل ما بدأه نور الدين محمود في حركة الإحياء السني ،و التعبئة المعنوية لأمر الجهاد ، وعلي الصعيد السياسي ، والحربي تمكن بعد جهد جهيد بالحرب ،و الدبلوماسية من إقامة جبهة موحدة من القاهرة ، و دمشق ، وحلب ،ودانت له الموصل بالولاء – كما أسلفت الإشارة من قبل – و هكذا صار الكيان الصليبي في بلاد الشام محاطاً بكيان إسلامي ينصاع لأوامر رجل واحد ،و من قبل فكرة جهادية توحده .

و من الملفت للانتباه أن المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري William of Tyre الذي أود وصفه بأنه مؤرخ ما قبل كارثة كان يستشعر أن سماء الصليبيين ملبدة بالغيوم ، وأن كارثة كبيرة ستحل ببني جلدته ، وفي الفصل الأخير من كتابه تاريخ الأعمال Historia Rerum نجده يسأل سؤالاً محيراً أربكه ، ولم يجد له إجابة ، وهو

Keder," The patriarch Eraclius" in Keder (B.Z) , Mayer , and Smail(R.C)= (eds) Outemer Studies in the history of the crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1982,pp,177-204.

Regan , Saladin and the fall of Jerusalem, London 1987,p.55.

١-سعيد البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٢٨٠حاشية (١) .

من الذي سينقذ مملكة بيت المقدس الصليبية من المصير الذي تتجه إليه ؟ لقد أمتلك رؤية مستقبلية نادرة في ذلك العصر ، وكانت صراحته ، و جرأته سببا في الفتك به فمات مسموماً علي الأرجح في ٢٩ سبتمبر ١١٨٦م ، قبل أقل من عام واحد علي دخول صلاح الدين الأيوبي للمدينة المقدسة فاتحاً في ٢ أكتوبر ١١٨٧م و محققاً نبؤه المؤرخ الصليبي البارز بعيد النظر [١] .

و لا نغفل أن عوامل النحر الداخلي كانت تفعل فعلها في الجسد الصليبي ، وبالتأكيد لم يكن عنصر " الزمن " في صالح الغزاة علي حين كان تماماً في صالح المسلمين الذين توحدوا ،و أدركوا الهدف الواحد ،و ترأسهم قائد تاريخي .

تبقي زاوية أساسية علينا أن نعيها قبل التعرض لتفاصيل معركة حطين ، وهي أن الصليبيين علي مدى قرابة ثمانية عقود كاملة لم يتمكنوا من توسيع حدود أملاكهم في بلاد الشام أو حتى في مصر، و كان الفشل رفيقا لهم !.
و لا نغفل أن الحدود الفلسطينية لمملكة بيت المقدس الصليبية بلغت ٢٧,٥٠٠ كيلو متر مربع [٢] فقط ، وقد شكلت صحراء النقب ٤٦,٧ % من تلك المساحة ، و كانت بالفعل مختلفة سكانياً [٣] ،و كانت المملكة تعمل علي أن تنقل الصراع بين المسلمين ، و بينها في الأطراف أي في الإمارات ، إما أن يتم فرض الصدام معها إلي تلك المساحة

١- من المفيد الاطلاع علي هذا البحث المتميز ؛ سرور عبد المنعم ، " رؤية المؤرخ وليم الصوري لصلاح الدين خلال الرحلة ١١٧١-١١٨٤م ،مجلة بحوث الشرق الأوسط ،عدد (١٦) ، عام ٢٠٠٥م ، ص ٢٦٤- ص ٢٨٦.

٢- تيسير جبارة ، تاريخ فلسطين ،ط. رام الله١٩٩٨م، ص١٥ .

٣- عن ذلك أنظر : هذه الدراسة المهمة ؛ السيد غلاب ،" سكان فلسطين ،و دراسة تاريخهم الجنسي: ، المجلة التاريخية المصرية ،م (٥)،لعام ١٩٥٦م،ص١٢٧ ، عبد الرحمن الشرنوبي ، جغرافية السكان ،ط. القاهرة ١٩٧٨م ،ص ٢٠٧ – ٢١١، السيد غلاب و صبحي عبد الحكيم ، السكان ديموغرافيا و جغرافيا ،ط. القاهرة ١٩٧٨م ،ص ٢١٥- ص٢١٩ ، فتحي أبو عيانة ،جغرافية السكان ،ط. الإسكندرية ١٩٧٧م ،ص ٧٧- ص ٨٢ ، يسري الجوهري ،مبادئ جغرافية السكان ،ط. بيروت ١٩٦٩م ، ص ٩٤- ص ٩٥ ، عبد الغني سعودي ، الجغرافية و المشكلات الدولية. القاهرة١٩٧٤م ،ص ٦ ،شكريمقبل ، الأحوال السياسية و الحضارية في فلسطين خلال عصر دولة المماليك الولي . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب –جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٢هـ ، ٩٠، فتحي فياض " فلسطين الموقع و الموضع دراسة جيوبولوتيكية " ، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ، إشراف ا.د. حامد زيدان ،ط. القاهرة ١٩٩٦م ،ص ٣٩ ، عبد الرحمن صادق الشريف ، " فلسطين " ،ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي (٤) ، الهلال الخصيب ، ط. الرياض ١٤١٩هـ ،ص ٤٨٦، ويقرر أن صحراء النقب ثلث مساحة فلسطين وهو ما ينطبق علي الواقع .

المحدودة الصغيرة التي عملت علي أن " تزرعها " بكم غير مسبوق من القلاع ،و الحصون فتلك كارثة مروعة بلا أدني شك ، و يلاحظ أن الصليبيين علي مدى تاريخهم في الشرق كانوا يتجنبون المعارك الحاسمة ؛ نظراً لما عانوه من نقص العنصر البشري ، وصعوبة تعويضهم للخسائر ، كما أن مثل تلك المعارك غير مضمونة النتائج خاصة أن الطرف الإسلامي المعادي كان في مقدوره تعويض الفاقد البشري عموماً في وقت قصير نسبياً بحكم أنه يحارب علي أرضه العمق الدفاعي الاستراتيجي له علي نفس تلك الأرض وهو ما لم يتوافر للغزاة .

فإذا أضفنا إلي ذلك كله أن المملكة الصليبية كانت تضم عناصر من المسلمين الخاضعين لها بقوة السلاح ،وقلوبهم مع إخوانهم فيما وراء الحدود ، وهؤلاء كانوا ينتظرون في لهفة متلهفة ،و شوق عارم جارف لحظة التحرير كي ينضموا إليهما ، وبالتالي كانت مملكة بيت المقدس في وضع غريب شاذ فهي محاطة بالأعداء المسلمين من خارجها ، وفي الداخل أعداء مسلمون أيضاً ،و إذا كانت قد استطاعت قهرهم بقوة السلاح ، فإن الأمل الوثاب ظل قائماً في عقولهم ، و قلوبهم ، و في كل معركة انتصر المسلمون فيها علي الصليبيين فيما قبل عام ١١٨٧م كانت تتحدث آثارها الفعالة في تجديد الأمل في طرد الغزاة من الأرض التي احتلت ،و تصرخ بعروبتها ،و إسلاميتها .

ولسنا في حاجة للتأكيد علي أن المناطق الجبلية كانت مسرحا لعمليات المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين ، و بالتالي فإن ذلك الوضع يؤكد مقولة أن المملكة الصليبية حينذاك تعرضت لعملية استنزاف داخلية دون أن تتمكن من تسليط أضواء كاشفة عليها نظراً لصمت المصادر إلا ما ندر ، كما في حالة بعض مؤلفات الرحالة الأوروبيين ، وكذلك كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ .

من جهة أخري ، وجدت هناك ناحية لها تأثيرها الفعال ، علي نحو سلبي بالنسبة للمملكة الصليبية ،إذ بعد جيل التأسيس القوي ، ظهر جيل آخر تأثر بالمؤثرات الشرقية في صورة البولاني أو الأفراخ ، وقد اختلف في أصل التسمية ،إذ أن المؤرخة ا. د مورجان M.D. Morgan في أطروحتها للدكتوراه من جامعة أوكسفورد عن التكميلات الفرنسية لتاريخ وليم الصوري حتى عام ١٢٣٣م أشارت إلي أن كلمة برلانس Pullanus أو في الفرنسية القديمة بولان Pollain ،اشتقت من كلمة بولوس Pullusوهي تعني صغير حيوان ما ، وقد رأت تلك المؤرخة أن البولاني لم يكونوا

مطلقاً من دماء مختلطة [١] . علي حين تصور فريق آخر من المؤرخين أنهم نتجوا عن تزاوج تم بين الغربيين و الشرقيين علي أرض بلاد الشام .

و أيا كان أمر الاختلاف فإن عناصر البولاني قد تعرضت لاتهام المؤرخين و إشاراتهم إلي مسؤوليتهم عن انهيار المملكة الصليبية ، فيلاحظ أن المؤرخ وليم النيوبرجي William of Newburgh قد أنحي باللائمة علي تلك العناصر لاسيما بعد كارثة حطين ١١٨٧م ، وقد ذكر أنهم فسدوا بمجاورتهم للمسلمين ، وأنهم لم يكونوا كمسيحيين و لا مسلمين [٢] ، كما أن جاك دي فتري Jacques de Vitry انتقدهم انتقاداً لاذعاً ،و أشار إلي ما في حياتهم من فساد أخلاقي [٣] .

و الأمر المؤكد ، أن فجوة حقيقية ظهرت بين الأجيال الصليبية ، وأن القوات التي واجهت المسلمين في حطين عام ١١٨٧م انتمت إلي عناصر لم تكن فيها نفس صفات جيل التأسيس الصليبي القوي . من زاوية أخري ، فإن المجتمع الصليبي أحتوى أشتاتاً من كافة أنحاء أوروبا من الفرنسيين و الإيطاليين ، والإنجليز ،والألمان ، وغيرهم ، ونقلوا خلافاتهم بل ،وصراعاتهم علي الأرض الأوروبية إلي أرض بلاد الشام ، وهكذا فإن الفسيفساء الصليبية المتناحرة ،و الغير متجانسة شكلت عنصراً سلبياً مضاداً لاستمرارية ذلك الكيان الدخيل علي أرض بلاد الشام .

١- عن ذلك أنظر Davis,William of Tyre ,vol.II,p. 75, note (7).

وعن البولاني أنظر: ميشيل بالار، الحملات الصليبية و الشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلي القرن الرابع عشر،ت . بشير السباعي ،ط. القاهرة ٢٠٠٣ م، ص ١٥٦- ص ١٦٠.

2- William of Newburgh, Chronicles of the Reigns of Stephen , henry II and Rich and I,ed by Richard ,in R.S..,London 1884- 1899,vol,I,p.224.

نقلاً عن :

3- Davis,William of Tyre ,p.66.

History of Jerusalem,p.64-65.

ولا مراء ، في أن المطالع للسطور السابقة يدرك بجلاء كيف أن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت نعيش في مجموعة من الأزمات الشائكة سياسياً و اجتماعياً في مرحلة ما قبل حطين ، وقد تمكن صلاح الدين الأيوبي ،ومعه جيشه من استثمار كافة تلك الظروف المعقدة ، والمتأزمة لصالح المسلمين ،و تحقيق انتصار تاريخي غير مسبوق من خلال تفاعل عوامل النحر الداخلي ، و الخارجي التي تعرضت لها ملكة بيت المقدس الصليبية .علي أية حال ، كانت وفاة الملك عموري عام ١١٧٤م في نفس العام الذي رحل فيه نور الدين محمود ، وكانا قد تصارعا في عالم الحرب والسياسة و اتفقا في عام الوفاة !!! – كانت نهاية مرحلة، وبداية أخرى في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام ، وقد انتهى عصر آخر الملوك الصليبيين الكبار – وجهة النظر الصليبية – وقد حاول الخروج من " الشرنقة الآسيوية " إلي النطاق الإفريقي دون جدوي ، ولذلك بعد رحيله بداية لفراغ سياسي صعب أن يشغله ملك صليبي آخر علي نفس إمكاناته ، فمن بعد رحيله تولي ابنه بلدوين الرابع Baldwin IV [١] (١١٧٤- ١١٨٥م) الذي كان قد بلغ من العمر١٣ عاماً ، وقد تولي أمر الوصاية عليه الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس Raymond III of Tripolis (١١٥٢- ١١٨٧م)، و هو شخصية تأثرت بحياة المسلمين ،و تعلم اللغة العربية خاصة أنه مكث في أسر المسلمين عدة أعوام ، ولم يكن يفضل أسلوب الفرسان الصليبيين الأوائل الأشداء .ويلاحظ أن مملكة بيت المقدس حينذاك كان يتنازعها حزبان ، الحزب الأول و تمثل في البارونات المحليين و الاسبتارية Hospitallers [٢] . وقد خضعوا للوصي علي العرش وقد فضلوا- كما قرر البعض- التعايش مع المسلمين قدر الاستطاعة .

١- عنه أنظر : William of Tyre ,pp.397- 509.

Aube , Baudouin IV de Jerusalem,Le roi Lepreux, paris 1981.

Hamilton ,The Leper king and heirs, Baldwin IV and the Crusader kingdom of Jerusalen ,Cambridge 2000.

و هي أحدث و أفضل دراسة في موضوعها .

ويقوم حالياً الطالب النابه / ياسر كامل الباحث في كلية الآداب- جامعة أسيوط بإعداد أطروحته للماجستير عن ذلك الملك الصليبي ، وأتوقع أن تكون رسالة متميزة علمياً

٢- الاسبتارية Hospitallers هم فرسان المستشفى الصليبي ، بدأ تاريخهم بداية طبية علاجية في مستشفيي في بيت المقدس من قبل مقدم الصليبيين وفيما بعد زاد نفوذهم و تحولوا إلي الجانب الحربي بجوار الجانب العلاجي و سيطروا علي القلاع الصليبية في مواقع متعدة في بلاد الشام و شاركوا في المعارك ضد المسلمين أنظر:

أما الحزب الآخر ، فقد تمثل في حديثي العهد بالإقامة في مناطق الصليبيين من المهاجرين الجدد من غرب الأوروبي ، وهم الذين أشار أسامة بن منقذ (ت ١١٨٨م) من قبل إلي تعصبهم الشديد ضد المسلمين ، وكذلك عناصر فرسان الداوية Templars [1] ،و ممثلو الحزب المتشدد الذي كان يري أن الحرب هي الوسيلة المثلى

William of Tyre ,vol.II,p.82 .

Delaville Le Roulex ," Inventaire de pieces Terre Sainte de l,Hospitale" ,R.O.L.,T.III,Annee 1885,pp.36-100.

king , The knights Hospitallers in the Holy land London 1930.

Riley- Smith , A history of the knights of St,John of Jerusalem, London 1967.

Cavaliero ,The Last Crusaders London 1960.

Lutterll , The earliest Hospitallers ," in kedar ,Riley – Smith, Hiestand (eds) Montjooie studies in Crusade History in Honourof Hans Eberhard Mayer ,Hampshire 1997,pp.37- 54.

مصطفي الحناوي ،جماعة الاسبتارية و دورها في الصراع الصليبي- الإسلامي في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩- ١٢٩١م رسالة ماجستير ،كلية الآداب - جامعة المنيا عام ١٩٨٠م ، سامي سلطان سعد ، الاسبتارية في رودس ،رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م .

١- الداوية Templers ، هم فرسان المعبد الصليبيين ،أسسهم هيردي باين وجودفري دي سانت اومير و ظهرت إلي الوجود هيئتهم في عام ١١١٨م ،ومنذ البداية كانوا هيئة حربية و تزايد نفوذها و سيطروا علي العديد من القلاع الصليبية ، وشاركوا في المعارك ضد المسلمين ، وقد تزايدت ثرواتهم حتى صاروا يعملون في مجال البنوك و الصيرفة ، عنهما انظر :

William of Tyre,vol.II,p. 524.

Barber ,The Trial of Templars , Cambridge 1982,The New kinghood: A History of the order of the Temple , Cambridge 1994.Northop ,The knights Templars in Holy land (1118- 1187), M.A., Thesis ,University of California 1943, Menache, Rewriting The History of the Templars according ; Mathew " Paris" , in Michael , Goodish , Sophia Menaachie and Sylvia schein (eds.) Cross .Converyences in the Crusader period, Essays presented to Aryeh Crabois on his Fifth Birthday , New York 1995,pp.183-213, paul Read, The Templars ,London 2000, pp.87-235.

المتشدد الذي كان يري أن الحرب هي الوسيلة المثلي لحسم الصراع مع المسلمين في أية خلافات تنشب بين الجانبين ، ويلاحظ أن ذلك الحزب سيورد المملكة موارد الهلاك خاصة منذ عام ١١٧٥م ، وهو العام الذي أطلق عليه المسلمون سرح الفارس الصليبي الفرنسي المندفع و المغامر رينودي شاتيون ، وهو ما ستكشفه الصفحات التالية .

مهما يكن من أمره ، أصيب بلدوين الرابع بالجذام ، وهو أحد الأمراض الجلدية ، وقد أنهكت صحته ، وفي نهاية المطاف تخلي عن السلطة ،وتولي من بعده بلدوين الخامس Baldwin V (١١٨٥-١١٨٦م) ،و قد توقف مصير الأسرة الحاكمة علي سبيلا ، وهي الأخت الكبرى للملك الصليبي ،وقد تزوجت من وليم مونتفرت William Monfort عام ١١٧٦م و أنجبت له بلدوين الخامس ، حيث مات بعد عام ، فقد تزوجت من جي لوزينان Guy de Lusignan عام ١١٨٠م ، وتولي بلدوين الخامس الحكم عام ١١٨٥م ، وفي نفس الحين تولي ريموند الثالث الوصاية عليه [١] كما أسلفت الذكر من قبل .

ومن المهم هنا الإقرار ، بأن الصليبيين تهادنوا مع صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٥ م [٢] ، وكانت مدة الهدنة أربعة سنوات ، فقد احتاج كل من الطرفين إلي أعوام يلتقط فيها الأنفاس ،و يعيد تنظيم صفوفه .

والواقع أن تاريخ العلاقات الإسلامية – الصليبية أثبت مراراً و تكراراً أن الصليبيين

إبراهيم خميس ، جماعة الفرسان الداوية ،وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى حتى نهاية حكم صلاح الدين الأيوبي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠م ، لعلاقات السياسية بين جماعات الفرسان الداوية و المسلمين في مصر و الشام (١١٩٣- ١٢٩١م) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، عام ١٩٨٣م ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،جماعة الفرسان الداوية ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٢م .

١- فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين ، تاريخ فلسطين في العصور الوسطي ،ط. بغداد١٩٨٧م ،ص ٢٤٠- ص٢٤١.

محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق و الغرب ،ص ٢٠٧.

٢- نفسه ، ص ٢١٥.

لم يحترموا تعهداتهم التي قطعوها علي أنفسهم [1] ،و أنهم كثيراً ما خرقوا الهدن ، و الاتفاقيات ؛ نظراً لرغبتهم في القيام بعمليات سلب و نهب و شجعهم علي ذلك وجود أمير صليبي جشع حركته أطماعه نحو أن يرمي بالاتفاقيات مع المسلمين عرض الحائط ، دون أن يحسب حساب العواقب الوخيمة .

وهكذا ، وجدنا الأمير الصليبي رينودي شاتيون الذي حركته عقدة الأسر لسنوات طويلة لدى المسلمين ، ناهيك عن الجشع و الرغبة في الانتقام منهم ، قام بنهب قافلة إسلامية كبيرة كانت تمر عبر الطريق ما بين دمشق والقاهرة ، وقد احتوت علي خيرات وفيرة ، عندما طلب صلاح الدين الأيوبي من جي لوزينان أن يضغط علي الأمير الصليبي المذكور لإعادة القافلة للمسلمين لم يتمكن من إثنائه عن عزمه .

واقع الأمر ، أن من المؤرخين من عمل علي إبراز أمر نهب القافلة و اعتبروه الشرارة التي أشعلت الصدام الحربي في حطين ، ومع ذلك علينا إدراك استعداد صلاح الدين الأيوبي منذ أعوام عديدة لمثل ذلك اليوم ، و في حالة كون الأمر مجرد نهب قافلة إسلامية لكان من الممكن أن يرد عليه السلطان المذكور بنهب قافلة صليبية أخري ، وهو أمر تكرر حدوثه من قبل ،و من بعد ، غير أن حادثة نهب القافلة لمذكورة علي يد أرناط جاء في وقت كان السلطان الأيوبي قد استعد تماماً للقيام بحرب التحرير الشاملة ، و قد قدم له أرناط الفرصة الذهبية من خلال المبرر السياسي لذلك من المفترض –دون إمكانية التاك – إن ذلك القائد المسلم الخبير بالصليبيين قد ورطهم بالفعل بالموافقة علي التوقيع علي اتفاقية ١١٨٥م ؛ نظراً لصعوبة التزام الصليبيين بها خاصة مع وجود نوعية متطرفة مع الغزاة : "سلاح فرض السلام " الذي أدرك حتماً

١- من أوضح الأمثلة الدالة علي ذلك من قبل عصر صلاح الدين الأيوبي ما حدث في عهد نور الدين محمود و بلدوين الثالث عندما خرق الصليبيون الاتفاقية المعقودة بين الطرفين ، وقاموا بمهاجمة سهل بانياس طمعاً في الغائم و الأسلاب ،وذلك عام ١١٥٧م ،ويلاحظ أن وليم الصوري نفسه اعترف بأن ذلك المسلك من جانب المملكة الصليبية كان خرقاً للاتفاقية المعقودة مع نور الدين محمود عن ذلك انظر:

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ،ص ٣٣٩.

William of Tyre,vol.II,p. 260.

محمد مؤنس عوض ، في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ،ص ١٤٩-ص ١٥١.

أنهم لا يتمكنون من الالتزام به و بتبعاته ، و كان التوقيع علي اتفاقية عام ١١٨٥م بمثابة توقيع علي وثيقة إعلان حرب ، و أثبتت الأيام صحة ذلك التصور .

و يلاحظ أنه من قبل معركة حطين ، حدثت معركة سابقة مباشرة عليها هي معركة عين كريسون عام ١١٨٧م [١].

و قد تحالفت القيادة الأيوبية مع الأمير الصليبي ريموند الثالث كونت طرابلس ، وتم استئذانه من أجل المرور في المناطق الخاضعة لسيطرته السياسية ،و قد وافق علي أن تقوم القوات الأيوبية بالمرور بطبرية ، و لا يكون ذلك لمدي زمني أكثر من ١٢ساعة فقط ، وألا يرتبط بذلك أعمال تتصل بالسلب و النهب ، والتخريب في المناطق الصليبية [٢] ، و يلاحظ أن دور ذلك الأمير الصليبي سيكون بارزاً في سبيل نصرة المسلمين من خلال الأحداث التالية .

وقد حدث الصدام بين الجانبين الإسلامي ، و الصليبي في صورة منطقة عين كريسون ، و أحتوى الأخير علي عناصر الرهبان الفرسان من الاسبتارية ، والداوية ، وقد وصفت المعركة من جانب ابن الأثير بأنها " جرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود " [٣] ، ووصفها مؤرخ آخر بأنها كانت بمثابة مذبحة لعناصر الفرسان الدواية [٤] علي حين أعتبرها مؤرخ آخر معركة طاحنة [٥]، و هو أمر يختلف معه

١- وقعت عين كريسون بين صفورية و كفر كنا قرب حطين و بعدت ٦ك.م عن كفر كنا ، عن تحديدها أنظر :

Le Srange, Palestine,p.469.

إبراهيم المحمود ، فن الحرب عند العرب ،ط. ١٩٧٨م ، ص ٣٨٧.

السيد الباز العريني ،مصر في عصر الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٧٢.

٢- العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص١٣ ،نظير سعداوي ، التاريخ الحربي المصري ،ص١٧٧.

Lane- poole , Saladin and the Fall of Latin kingdom ,p.201 Runciman , A. History of the Crusades, vol .II,p.453,Baldwin ," The Decline and Fall of Jerusalem ", in Setton ,A History of the Crusades, vol I.p.607.

٣- الكامل ، جـ١١، ص ٥٣١.

4- Jecques de Vitry ,History of Jerusalem ,p.100.

5- Runciman ,vol.Ii,p.435.

بشأنه لأن حطين كانت اكثر خطورة منها . ولدينا نص مهم يورده جاك دي فتري [١] يذكر فيه آن القوات الأيوبية في المعركة قد بلغت نحو ١٠,٠٠٠ من المقاتلين [٢] ، ومن الواضح آن ذلك يحوي مبالغة واضحة ، ومن الممكن إيجاد تبرير منطقى لمثل ذلك الرقم من خلال رغبة ذلك المؤرخ في أن يبرر انكسار عناصر الداوية من خلال الإشارة إلي أن أعدادهم كانوا في عدد ضخم لا قبل لهم به ، كما لا نغفل أن الحملة المذكورة من جانب الأيوبيين كانت ذات طابع استطلاعي استكشافي ،و بالتالي من المفترض أن عدد المشاركين فيها كان محدوداً نسبياً بحكم المهمة الموكلة لهم .

علي أية حال ، الأمر المؤكد أن تلك المعركة و ما لحق بالصليبيين فيها من خسائر يكشف لنا عن أن الوضع العسكري للمملكة كان ينذر بعواقب - و بالفعل - وخيمة .

هكذا ، تسارعت الأحداث ، وقد تجهز صلاح الدين الأيوبي باستدعاء أمراء الأطراف وأنطلق من مرتفعات الجولان و تحديداً من خسفين [٣]، ووصل إلي طبرية ، و حاصر قلعتها، و عمل علي أن يجعل بحيرتها تحت سيطرته ،و بالتالي يحرم الصليبيين منها وفي ذلك الحين كان الصليبيون قد تجمعوا في موقع مثالي في صورة عين صفورية [٤] ،و هي منطقة في شمالي فلسطين توافرت فيها المياه ،ولاءمت تماماً

١-إبراهيم طرخان ، الناصر صلاح الدين ،ص ٩٠.

2- Jacques de vitry,p.100.

٣- تجدر الإشارة إلي أن خسفين تقع حاليا في محافظة القنيطرة السورية ، في أرض منبسطة انحدرت ببطء باتجاه الجنوب الغربي نحو وادي الرخاء ، وعرفت بخصوبة تربتها ، وبعدت عن مدينة فيق ١٤ كم باتجاه الشمال الشرقي ،ويلاحظ اكتشاف آثار ترجع إلي العهدين الروماني و البيزنطي فيها ن عنها أنظر : احمد محمود الحسن ، الجولان تاريخ و جذور دراسة جغرافية سياسية ثقافية ،ص ٢٨ ، حاشية ، (١) .

٤- صفورية ، احدى القري الواقعة في إقليم الجليل بشمالي فلسطين ،ويحدها من الشرق كفر كنه ، وجنوباً بجهة الشرق الناصرة و من الجنوب الغربي قرية عيلوت(عيلوط) و شمالاً قرية روما (خربة روما)، و يلاحظ أنها في المرحلة الرومانية اطلق عليه Dio caesarea ، وفي مرحلة الحروب الصليبية احتوت علي قلعة حصينة سيطرت عليها هيئة الداوية أنظر :

Fetellus,p.30.

Theoderich,p.69.

Marino Sanuto,,p.69.

مصلحة الصليبيين الربية ،ولكن مع وصول الأخبار الأخرى للأخيرين بمهاجمة صلاح الدين الأيوبي لطبرية ، اختلف الغزاة فيما بينهم ،فقد وجد فريق يؤيد البقاء في صفورية ، وانتظار مقدم القوات الأيوبية ، بينما وجد فريق آخر يري ضرورة التوجه إلي المسلمين ، وعدم انتظارهم ، وكان رينودي شاتيون ،و مقدم الداوية من أنصار ذلك الرأي ،بينما عارضهم ريموند الثالث ، وفي النهاية رجحت كفة الفريق الأول ، و كان معني ذلك أن يسير الجيش الصليبي مسافة ١٧ ك. م [١] وسط الشمس الحارقة في شهر يوليو ، ولا توجد موارد للمياه ، ومن بعد ذلك كان علي الجيش الصليبي الاصطدام مع الجيش الأيوبي الذي ينتظره ، ولديه مصادر المياه بوفرة ، وقد تجهز تسليحياً ، و ارتفعت روحه المعنوية .

وقد ألتقي الطرفان في منطقة قرون حطين The Horns of Hattin [٢] في يوم ٤ يوليو ١١٨٧م ، ويلاحظ أن الصليبيين وصلوا إلي المنطقة المذكورة في اليوم السابق وباتوا هناك ، وعندما أشرقت شمس صباح يوم ٤ يوليو أدركوا أن الجيش الأيوبي فرض عليهم حصاراً شاملاً أثناء الليل ،وجري الصدام بين الجانبين وهو صدام أبلي فيه المسلمون بلاءً حسناً ووقع الجيش الصليبي – الذي كان اكبر جيش أمكن للغزاة جمعه منذ أن وصلوا إلي المنطقة في أخريات القرن ١١ م وقع فريسة المسلمين وسقط

= مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق زغلول عبد الحميد ،ط. الإسكندرية ١٩٥٨من ص ١٠٦ ، ياقوت معجم البلدان ،جـ٣ ، ص ٤١٤ ، بنيامين النطيلي ، الرحلة ، ص ١١٠ ،حاشية (١) ، ليلي طرشوبي ،إقليم الجليل ، ص ٩٩ ،سعيد البيشاوي ، نابلس الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م ،ط.عمان ،ص ١٣٨ ، حاشية(٣٥) ، كشاف البلدان الفلسطينية، معهد البحوث و الدراسات العربية ،ط. القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٦٢ ،موضي السرحان ، بيروت تحت الحكم الصليبي و علاقتها بالمسلمين ١١١٠-١٢٩١م ،ط. الرياض ٢٠٠١،ص ١٧٣ ،حاشية (١) . ١- أحمد أحمد مختار العبادي ، في تاريخ الأيوبيين و المماليك ،ط. بيروت ١٩٩٥م ،ص ٥٣.

٢-معركة حطين أنظر :

The Old French Continuation of William of Tyre 1194- 1197, in the Conquest of Jerusalem and the Third Crusade , Sources in translation ,ed p.w.Edbury , Hampshire 1996,pp.158-163.

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ –ص ٧٩ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ،ص ٨١ ن ابن الأثير ، الكامل،جـ٩ ،ص١٧٩. Richard , " La Bataille de Hattin Saladin defait L, Occident" , L,Histoire T .XLVII ,

رجاله بين قتيل وجريح ، وأسير ،وتم إشعال النيران في الأعشاب الجافة في المنطقة ، كـــــذلك فتـــــك العطـــــش بالصـــــليبيين و اجتمـــــع علـــــيهم

=Annee1982,pp.104-111, Id," An Account of The Battle of Hattin deferring to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem Sttes" , S., vol .XXVII, 1952,pp.168-175,Lane – poole ,Saladin ,pp.205- 210.Fuller ,Decisive battles of western Europe , and their inf luences upon history ,London 1954,p.427, kedar (ed) ,The Horns of Hattin, Jerusalem 1992.

من أفضل الدراسات الجماعية عن المعركة المذكورة و يحتوي علي أبحاث مؤتمر دولي عقد في فلسطين المحتلة عام ١٩٨٧م بمناسبة مرور ٨٠٠عام علي وقوعها .

ديفيد جاكسون ،" معركة حطين و الاستيلاء علي القدس " ،ضمن كتاب حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد ،ط. القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٨٦- ص٩٣ ، جوزيف نسيم يوسف ، "معركة حطين خلفياتها ودلالاتها ،عالم الفكر ،م (٢٠) العدد(١) أبريل- مايو- يونيو ١٩٨٩م ، ص ٢٣٢- ص ٢٥١ ،جوزيف داهمس ،ط. سبع معارك فاصلة في العصور الوسطي ،ت. محمد فتحي الشاعر ،ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٠٣- ص ١٣١ ، أمين توفيق الصليبي ،" وقعتا حطين و الارك نصران متوازيان علي الغزاة الصليبيين في المشرق و المغرب " ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة (١٠) العدد يناير ١٩٨٨م ،ص ٥١-ص٦٤ ، محمد رشيد رضا ، " ذكري صلاح الدين و معركة حطين " ، مجلة المنار، العدد (٨) سبتمبر ١٩٣٣م ،ص٥٩٣- ص ٦٠٦ سهيل زكار ، " وقائع معركة حطين " ،مجلة تاريخ العرب و العالم ، العدد (١٠٥) ، (١٠٦) يوليو أغسطس ١٩٨٧م ، ص ٧٠-٨١ ، محمد شاكر مصطفي ، ١٠٠ من معارك الجهاد في الإسلام ،ط. دمشق ١٩٩٦م ، ص ٢٣٨- ص ٢٤٢مصطفي زيادة ،" يوم حطين " ،مجلة العربي ، العدد (٥٩) ، أكتوبر عام ، حطين صلاح الدين ، ص ٤٤-ص ٤٧ ،صفي الدين أبو العز ، معركة حطين الاطار و النتائج ، ضمن كتاب ٨٠٠عام حطين صلاح الدين ص ١٣٠- ص ١٣٦ ؛ عطية القوصي ، معركة حطين ووحدة الصف العربي ،ط. القاهرة ،١٩٦٢م .محمد مؤنس عوض ،" ٨٢٠ عاماً علي معركة حطين " ،مجلة المنبر الجامعي العدد (٤٨) ، السنة (٧) مايو ٢٠٠٧م ن ص ٨٢-ص٨٣. قاسم عبده قاسم ، في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ،ص ٥١-ص ٧٦ ،حسين سليمان نبذة تاريخية عن معركة حطين الرمز و العظة و مدخل التحرير " ، مجلة لواء الإسلام ، العد د(٣) سبتمبر ١٩٧٩م ، ص ٤١-ص٤٥ ، سعيد طيان " موقعة حطين دراسة عسكرية ، مجلة تاريخ العرب و العالم ، العدد (١٠٥، (١٠٦) يوليو – أغسطس ١٩٨٧م ،ص ٣٤- ص ٤٠ ، عباس العقاد ،" صلاح الدين " ، العربي ، العدد (١) ، ديسمبر ١٩٥٨م ، ص ٥٣- ص٥٩ ، محمود إبراهيم ، حطين بين أخبار مؤرخيها و شعر معاصريها ،ط. عمان ١٩٨٧م ، سهيل زكار ،حطين مسيرة التحرير من دمشق إلي القدس ،ط. دمشق ١٩٨٤م ، عبلة المهندي الزبدة ، القدس تاريخ و حضارة ،ط. عمان ٢٠٠٠م ، ص ١٩٠ ، محمد حلمي محمد ،مصر والشام و الصليبيون ،ط. القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٤٠ – ص ١٤١ ، محمد سهيل طقوش ، التاريخ الإسلامي الوجيز. بيروت ٢٠٠٢م ،ص ١٩٩ –ص ٢٠٠ ،سمايل ، الحروب الصليبية ، ت سامي هاشم ،ط. بيروت ١٩٧٧م ، ص ٨٢١-ص٨٢٢ طه احمد ، معركة حطين و استرداد بيت المقدس ضمن كتاب مواقعة حاسمة في تاريخ الإسلام ،ط. القاهرة ١٩٦٢م ، ص ١٣٠- ص ١٤١؛ محمود السرساوي ،يوم حطين من روائع التاريخ العسكري العربي، ب- ت ؛ محمد زنبير ،معركة "حطين من التمزق إلي التوحد " المؤرخ العربي العدد(٣٩) السنة (١٥) عام ١٩٨٩م ، ص ١٦٥- ١٧٦؛ الحبيب الجنحاني " حطين رمز الوحدة و التحرر " المؤرخ العربي ، العدد(٣٩) السنة (١٥) عام ١٩٨٩م ، ص ١٧٧-ص١٨٥.

حر الشمس ، وحر النار ،و حر العطش ،وحر القتال ،وهناك عبارة بليغة أوردها المؤرخ ابن الأثير عندما ذكر أن من كان يري القتلى من الصليبيين يظن أن المسلمين ما أسروا أحداً ، و أن من يري الأسري يظن أنهم ما قتلوا أحداً [١] كناية عن كثافة أعداد القتلى ، و الأسري ، وقد سجد صلاح الدين الأيوبي لله تعالي شاكراً علي هذا الانتصار الكبير .

تجدر الإشارة إلي أن المسلمين تمكنوا من انتزاع ما يعتقد الصليبيون بأنه صليب الصلبوت [٢] علي نحو ترك أسر الأسر في حالة الغزاة المعنوية ،و قد أيقنوا عندئذ بأن الهزيمة واقعة لا محالة كما تم أسر كبار القادة في صورة الملك الصليبي ، و مقدمي الاسبتارية و الداوية ،و الفارس أرناط ، و علي حين عامل السلطان الأيوبي الملك الصليبي معاملة طيبة ،إلا انه قام بتوبيخ إرناط علي ما تلفظ به في حق نبي الإسلام عندما أسر القافلة ، وقد قام بقتله [٣] جزاء ما قام به خاصة حملته الشهيرة علي الحجاز عام ١١٨٣م ، كما قام بإصدار أوامره بالفتك بعناصر فرسان الاسبتارية و الداوية [٤] ، وقد عرض لتلك الحادثة المؤرخون الأوروبيون المحدثون من وجهة نظرهم ، حيث وجد منهم من أعتبر أن أولئك الفرسان لقوا مصرعهم فداء لواجبهم

١-الكامل ،جـ١١ ،ص ٢١٨.

٢- صليب الصلبوت ، قطعة خشبية مغلفة بالذهب اعتقد الصليبيون أن السيد المسيح قد صلب عليها – و ذلك وفق معتقدهم الديني الذي يري أمر الصلب – و كانت مرصعة بالجواهر ، وقد أحضروه إلي ساحة المعركة في حطين لإشعال الحماس في نفوس المقاتلين الصليبيين و للتبرك به، ويقال أنهم رفعوه علي رمح عال، حتى يراه الجميع ، عن ذلك انظر : ابن العديم ، زبدة الحلب ،جـ٢ ، ص ٨٤٢ ،علي عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي و العالم الإسلامي ،ص ١٠٢.

٣- ابن واصل ، مفرج الكروب ،جـ٢ ، ص ١٩٤- ص ١٩٥ ، محمد عبد القادر أبو فارس ،دروس و تأملات في الحروب الصليبية ،ط. عمان ٢٠٠٢م ، ص ١٦٠.

٤- العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٨١ ،ابن شداد ، النوادر السلطانية ،ص ٧٧،ابنواصل ، المصدر السابق ،جـ٢ ، ص ١٩٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،جـ٦ ،ص ٣٧ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،جـ٤ ، ص ٢٦ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر ،جـ٢ ،ص ٩٦ ،ابن أيبك الدواداري ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، ص٩٦ ، المقريزي ، السلوك ،جـ١ ،ص ٩٣ ، ابن خلدون ، العبر ،جـ٥ ،ص٤٤. "

Jacques de vitry , History of Jerusalem ,p.101.Richard, Account of the Battle of Hattin

في قتال المسلمين و عقيدتهم [١] ، بينما قرر ستيفن Stevenson أن الحادثة نفسها لا مجال لإنكارها ولكنها لا تزال تحتاج إلي تعليل [٢] ، ويبدو أن ذلك المؤرخ قد نسي أو تناسي الدور الحربي العدواني الذي قامت به تلك العناصر طوال تلك الرحلة .

وقد قرر أحد المؤرخين أن أولئك الفرسان كانوا أشد أهل الكفر وطأة علي المسلمين ، وأنه لم تجر عادتها بالمفاداة و لا يقلعان عن المعاداة ، و لا ينفعان في الأسر [٣] ، و يقرر أحد الباحثين الغربيين المحدثين ، أن أولئك الفرسان كانوا في نظر صلاح الدين بمثابة الأعداء القساة ضد عقيدته ،و ينبغي ألا يلقوا منه شفقة أو رحمة [٤] ، ثم أنه في حالة إطلاق سراحهم فإن من المرجح عودتهم إلي قتال المسلمين ، وكانت تجربة المسلمين مع أرناط نفسه خير دليل ، و برهان علي صحة ذلك التصور .

و أود أن أشير هنا إلي أن المؤرخين الغربيين منهم من أتجه إلي النيل من سمعة صلاح الدين الأيوبي ، و تصويره بمظهر الدموي القاسي لأنه قام بذلك العمل دون أن يدركوا الدوافع التي دفعته إلي مثل ذلك القرار ، فإذا لاحظنا أن الصليبيين من بعد ذلك لن يحترموا تعهداتهم و سيرفعون السلاح في وجه المسلمين ؛ أدركنا كيف كان ذلك القرار بإعدام أولئك الفرسان كان صائباً .و يعلق البعض علي معركة حطين قائلاً : " لم تكن معركة حطين كارثة حربية ، ولكنها كانت نصراً علي أكبر حركة استيطانية غربية شهدتها العصور الوسطي.. حررت المشرق العربي و أرضه بالذات من المجموعات

=An referring to the Franish metcenaries in Oriental Moslem states,p.169.,Oman ,History of the art of war in The Middle Agesd vol.II,pp.332, Balloe, The Crusade, world ,s debate ,p.294, kerr, The Crusades,p.49.

خليل سركيس ، تاريخ أورشليم ،ط. بيروت ١٨٧١م ، ص ١٧٣ ، احمد بيلي ، حياة صلاح الدين ، ص ١٣٨ ،محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ، ص ١٣٩ ،جوثان رايلي سميث ، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس و قبرص ١٠٥٠- ١٣١٠ ، ت صبحي الجابي ، ط. دمشق ١٩٨٤من ص٧٧.

1- king ,The kingdom of St ,John in British kingdom , London 1943,p.19-20.

2- The Crusaders in the east ,p.248.

٣- أبو شامة ، الروضتين ،ص ٧٩.

4- king ,The knights Hospitallers in the Holy Land,p.123.

البشرية التي غزته للبقاء فيه ،وإذا أخذا هذا التحرير منه مرة أخري بعد حطين ، فقد كانت هذه المعركة هي المؤشر الأول ، وهو الأساس لرفض استقرار الغرباء علي هذه الأرض ، و لم يفقد الفرنج جيشهم فيها فقط ، ولكن زهرة شبابهم و رجالهم أيضاً ، و سوف يضطرون باستمرار إلي حمل المزيد من الرجال ، و الأموال لسد النقص البشري الذي كشفته هذه المعركة ، ولم يكن بقاء الإمارات بعد حطين بقوتها ، ولكنه كان بقاء اصطناعيا ،وقد حاول الغرب إعاشتها بالحملات المتتالية عبثاً حتى أنقرض آخر ممثليها في عكا سنة ١٢٩١م " [١] ، ،ويلاحظ أن ذلك الرأي السابق أصاب قلب الحقيقة باقتدار رفيع المستوي .

واقع الأمر ، أن أهم ما يميز معركة حطين ، القدرة من جانب المسلمين علي تحقيق الإنجازات العسكرية بكفاءة ،و إتقان ، و علي نحو سريع ،وينبغي ملاحظة أن ذلك الانتصار كانت الناحية المناخية [٢] ، خاصة خلال شهر يوليو الشديد الحرارة عنصر مساعد فقط ، و لا يمكن تصور أن ذلك العنصر كان هو العنصر الحاسم ، إذ أن الحسم جاء من خلال كفاءة الجيش الأيوبي المجاهد ، ونفس الأمر يقال فيما بعد عندما قام الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦- ١٢٧٠م) بحملته علي تونس المعروفة بالحملة الثامنة ، في صيف عام ١٢٧٠م [٣] ،و فشلت تلك الحملة ،و توفي هناك في ٢٥ أغسطس من العام المذكور ، وهكذا ، فإن عامل الحر لم يكن هو الحاسم بل جهاد أهل تونس ضد الصليبيين خلال أحداث الحملة المذكورة .

١- شاكر مصطفي ، صلاح الدين ، ص ٢٦٤- ٢٦٥.

٢- عن ذلك العامل و تأثيره بالتفصيل أنظر : ماهر أبو السعيد ، الحروب الصليبية و تأثرها بالعوامل الجغرافية في الشرق الأدنى الإسلامي فيما بين ١٠٩٥- ١٢٩١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، فرع دمنهور عام ٢٠٠٣م . عن تلك الحملة أنظر :

Jean de Joinville, Chronicles of the Crusades, Trans ,by . M.R.B.Shaw London 1976,p.346. primat, Chronique de primat, R.H.G.F.,T.XXIII,pp,pp.48-49.

ابن أبي دينار ، المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس ، تحقيق محمد شمام ،ط. تونس بـت . ص ١٣٦- ١٣٧ . ابن خلدون ، العبر ،جـ٦ ،ط. القاهرة بـت ، ص ٢٩٣.

Stayer ," The Crusades of Louis IX", in setton, AHistory of the Crusades, vol.II ,1969, pp.515-516. Talbi," Saint Louis Voir Tunis et mourir" , H. T,XLVIII, annee 1982, p.38-41.

مصطفي الكناني ، حملة لويس التاسع علي تونس ١٢٧٠ م ، ط. الإسكندرية ١٩٨٥ ،ص ١٣٣- ص ٢٧١.-

تجدر الإشارة ، اتجه صلاح الدين الأيوبي إلي إرسال قواته من أجل فتح مدن الساحل الشامي ؛ نظراً لإدراكه لأهمية إخضاعها من قبل مقدم الدعم العسكري الأوروبي للحركة الصليبية في شرق البحر المتوسط ، وبالفعل سقطت العديد من المدن مثل عكا ، ويافا ،وصيدا ، وبيروت ، وجبيل ، عسقلان [1] و غيرها .

و الأمر المؤكد ؛ أن هناك عدة أسباب كانت من وراء نجاح الجيش الأيوبي في الاستيلاء علي تلك المدن خلال مرحلة زمنية نسبياً لا يتجاوز ثلاثة اشهر فقط ، فإلي جانب الكفاءة الحربية للأيوبيين . هناك ضعف القوة البشرية الصليبية المدافعة عنها نظراً لاشتراك أكبر عدد منهم في أحداث معركة حطين ، كما لا نغفل عنصر فعال آخر إذ أن الجانب الأخلاقي الذي عرف عن السلطان الأيوبي ، وهو جانب لا يمكن كتابة تاريخه بدونه ، وإدراك الصليبيين أنه لا يتراجع عن أي وعد قطعه علي نفسه حتى ــــــــــــــــــــــــــــــ

= سامية عامر ، الصليبيون في شمال إفريقيا ، جملة لويس التاسع علي تونس ١٢٧٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، فايز نجيب إسكندر ، المقاومة الإسلامية في مواجهة العدوان الصليبي علي تونس ،ط. القاهرة ١٩٨٧م ، رسائل بييردركرنديه عن العدوان الصليبي علي تونس دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر " ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطي ، ط. المنصورة ، ب- ت ، ١٥٥- ص ١٨٣.

و عن مقاومة التونسيين للحملة انظر : ابن الفرات ، تاريخ الدول و الملوك ، نشر مالكوم ليونزجـ١ ، ط. كمبردج ١٩٧١م، ص ١٧٩.

سيمون للويد ،حملتا القديس لويس الصليبيتان ، ت . عادل زيتون ، الثقافة العالمية ، العدد (٨٧) مارس – إبريل ١٩٩٨م ، ص ١١٦.

حياة الحجي ، السياسة الصليبية للملك الفرنسي لويس التاسع ط. الكويت ١٩٨٣م ، ص ١٠٣-،محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في الغرب الإسلامي ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٠٤ ، روبار برونشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلي نهاية القرن ١٥ ، ت جمادي الساحلي ،ط. بيروت ١٩٨٨م ،جـ١ ، ص ١٩.
١-عن سقوط مدن الساحل الشامي في قبضة المسلمين في أعقاب حطين انظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية، ص ٨٦ – ص ٩٠ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ،ط. القاهرة ١٣٢١هـ ، ص ١٠٤- ص١٠٩ ، وبقيت مواقع قليلة في أيدي الصليبيين عن ذلك أنظر : سعيد عاشور ، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ، ص ٦٢ ، ياسين سويد ، صلاح الدين و استراتيجية التوحيد للتحرير " شؤون عربية ، العدد (٨٣) سبتمبر١٩٩٥م ،ص ١٣٢.

الكفاءة الحربية للأيوبيين . هناك ضعف القوة البشرية الصليبية المدافعة عنها نظراً لاشتراك أكبر عدد منهم في أحداث حطين ، كما لا نغفل عنصر فعال آخر إذ أن الجانب الأخلاقي الذي عرف عن السلطان الأيوبي ، وهو جانب لا يمكن كتابة تاريخه بدونه ، و ادراك الصليبيين أنه لا يتراجع عن أي وعد قطعه علي نفسه حتى لأعدائه [1] ، جعل البعض بفضل الاستسلام عن الاستمرار في المقاومة ، وما تعنيه من ويلات الحصار خاصة أن الجيش الأيوبي كان قد حقق خبرة عريضة في مثل تلك العمليات مكن قبل ، و بالتالي ؛ تساقطت في أيدي المسلمين العديد من المدن الخاضعة للسيادة الصليبية ، كما لا نغفل عنصر آخر دعم الجانب الإسلامي في صورة عناصر المسلمين الخاضعين للصليبيين حيث دعموا أخونهم القادمين للاستيلاء علي تلك المناطق ، وهنا ظهر دور تلك العناصر كقوة دعم تنتظر الدور التحريري للأيوبيين .

والأمر المؤكد أن صلاح الدين الأيوبي ،وقواته كانوا في صراع مرير مع الزمن من أجل إعادة السيادة الإسلامية علي أكبر عدد من المواقع الصليبية حتى يجد القادمون من الغرب الأوروبي صعوبة بالغة في إعادة الأمور إلي ما قبل ٤ يوليو ١١٨٧م ، ومن المهم هنا ملاحظة أن الصراع كان أصلاً علي منطقة جغرافية محدودة و مركزة ،و لذلك كانت النتائج باهرة و سريعة .

و لا نغفل زاوية أخري مؤثرة إلي حد كبير ، تتمثل في أن انتصار حطين الحاسم ؛ أشعل في نفوس المسلمين حماساً شديداً ، ارتفعت روحهم المعنوية ، و تملكتهم رغبة قوية ،و صادقة ،و عارمة نحو إسقاط أكبر قدر من الأملاك الإسلامية التي سيطر عليها الصليبيون في أسرع وقت ممكن لفرض واقع سياسي جديد علي الأرض لأول مرة منذ عدة قرون في قلب الوجود الصليبي .

من ناحية أخري ، تم الاتجاه إلي إسقاط القلاع الصليبية ؛ و هي التي مثلت الأوتاد التي تثبت الوجود الصليبي في الأرض المسلمة ، وكانت من التعدد و قوة التحصينات علي نحو جعلها تمثل تهديداً عسكرياً كبيراً في مواجهة أية قوة عسكرية تسعي إلي أحداث

١-ولترسكوت ،الطلسم، ت. محمود محمد محمد ،ط. القاهرة ١٩٣٨م ، ص ١٠٦ . أنظر أيضاً : رأي جنفياف شوفيل حيث وصف صلاح الدين بأنه وفي للعهد عن ذلك أنظر :

أحمد حسن أحمد ، "فقه التاريخ و انتصارات صلاح الدين" ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٥٩) ، السنة (١٥) صيف ١٩٩٧م، ص ٥٠ ،حاشية(٤٥) .

تغييرات حقيقية علي الأرض ،ومن أمثلتها قلاع الفولة [١] ، وصفد [٢] وصهيون [٣].

١- وقعت قلعة الفولة La Feve إلي الجنوب من الناصرة ، وإلي جانب ذلك الاسم ، عرفت باسم الباقلا أو باسم فابا Faba ، وعرفت في المصادر التاريخية الصليبية باسم La Feve Afula ، وقد سيطرت هيئة الداوية علي القلعة ، ويبدو أنها مثلت إحدى القلاع المهمة في إقليم الجليل ، ويقرر العماد الأصفهاني عنها أنها كانت بالنسبة للصليبيين و الداوية علي نحو خاص " ذخائر كنايسهم و اخاير نفوسهم " ، وقد تمكن المسلمون من إخضاعها عقب حطين عام ١١٨٧م ، عنها أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ،جـ٣ ،ص٩٣٤، ابن العديم ، زبدة الحلب ،جـ٣ ، ص ٧٣ ، الفتح البنداري ،سنا البرق الشامي ،ص ٣٠٢.

Le Strange , Palestine under Islam, London 1890,p.441, Runciman The Crusades, vol .II ,p.453,Stevenson, The Crusaders,p.250.

٢- وقعت قلعة صفد Safad علي بعد ٨ أميال من بحيرة طبرية في الجهة الغربية منها ،علي الطريق الرئيسي المتجه إلي دمشق ، ومن ثم اعتبرت مفتاح طريق دمشق ، وقد أشرفت علي إقليم الجليل ، وغدت من أقوي و أمنع القلاع الصليبية ، وعهد الصليبيون بأمرها لعناصر الداوية ، وقد قرر عز الدين بن شداد أن ذلك تم عام ١١٠٢م ، ونقل عنه العثماني ذلك التحديد الزمني ، ومن بعده طه ثلجي الطراونة ،والواقع أن ذلك أبعد ما يكون عن الواقع التاريخي لأمر يسير وهو أن هيئة الداوية ذاتها لم تظهر إلي الوجود إلا عام ١١١٨م عندما تم تأسيسها ، وذلك بالاعتماد علي ما أورده وليم الصوري نفسه ، وقد سقطت القلعة المذكورة بعد أحداث حطين حيث سقطت عام ١١٨٨م .

بعد حصار طويل عن ذلك أنظر :

ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ،جـ٢ ، ص ٨٥ ، العثماني ، تاريخ صفد ،تحقيق برنارد لويس ، B.S.O.A.S.,vol ,XV,1953,p.179, William ,vol,p.524, Ernoul, Ernoul,saccount of Palestine, Trans, by Conder ,p.p.T.TS., vol.IV,London 1896,p.51, kennedy, Crusader Castes, Cambridage2001,pp.190-198.

طه ثلجي طراونة ، مملكة صفد في عهد المماليك ،ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٥ ، سعيد عاشور ، العصر المماليكي في مصر و الشام ،ط. القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٦١ ،قاسم عبد عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية سلسلة عالم المعرفة ،ط. الكويت ١٩٩٠م ،ص ١٥٩ ،ليلي طرشوبي ،إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م ،ص ٨٤- ص ٨٥.

مجلة المجمع العلمي بدمشق عدد عام ١٩٤٤م ،ص ٤٢٤ ، سعيد عاشور ، صلاح الدين الأيوبي ، ط. القاهرة١٩٦٥م ،ص٢١٤ ، احمد الحفناوي ،" الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط " ، المنهل ،م (٤٦) ،عام١٩٨٣م ،ص ٦٧،سرور عبد المنعم ، الدور السياسي لحصن شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب – جامعة طنطا عام ١٩٩٧م ،وهي الأطروحة العلمية الوحيدة المتخصصة في تلك القلعة المتخصص في تلك القلعة ،عبد الله الغامدي ،" شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ،مجلة الإنسانيات ، العدد (٧١) عام ٢٠٠١م ص ١٣ –ص٥٥.

صهيون [١] وبغراس [٢] و شقيف أرنون [٣] كوكب الهواء [٤] .

١- هي قلعة صلاح الدين وقعت علي بعد ٣٣ ك .م شرقي اللاذقية ، احتلها الصليبيون في بداية القرن ١٢م ، ، وحررها المسلمون في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٨م، ويلاحظ أن لها عدة أسماء مثل Chateau de Sane ، أوساوونا Saona ، سيهونا Sehunna ، وساهون ، Sahaune وسونSeun و في المصادر العربية عرفت باسم صهيون من الصهوة العربية، وتعني أعلي الشيء ومن الفرس موضع السرج على ظهرها و الجمع صهوات ثم حرفت صهيون عنها « أنظر : طالب الصوافي ، القلاع و الحصون في شمال فلسطين ،ط. عكا ٢٠٠٠م ، ص ١١٥ ، حاشية (١) . قتيبة الشهابي ، معجم المواقع الأثرية السورية ،ط. دمشق ٢٠٠٦م ،ص ٢٠٥.

٢- بغراس وقعت في مكان قرية بين أنطاكية و كليكا الأرمينية ArmenianCilicia خلف جبل اللكام الهائل المعروف باسم مانوس Ammanus و بعدت عن انطاكية مسافة ١٢ميلاً و بينها وبين الأسكندرونة ١٢ ميلاً أخري ، وبالقرب منها وقعت قلعة دربساك ، وقد سيطرت عليها هيئة فرسان الداوية Templars ، وقد سقطت في أيدي المسلمين في أعقاب معركة حطين عنها أنظر : علي عودة الغامدي ،" حصن بغراس و دوره الحربي في عصر الحروب الصليبية " ، ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية ، اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦م ، ص ٢٦١- ص ٣١٤،مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية ،ص٥٨- ص ٥٩ ،محمد مؤنس عوض ،تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م ،ص٢٠-ص٢٢.

٣- شقيف أرنون ، قلعة في جنوبي لبنان تطل علي نهر الليطاني علي ارتفاع ٢١٩٩ قدم فوق سطح البحر وكأنها عش نسر شاهق يشرف علي النهر المذكور ،وبحرس الممر الجنوبي الذي يربط بين صور بالبقع بدمشق ، وقد سقطت في أيدي المسلمين بعد معركة حطين ١١٨٧م ، عنها أنظر : ابن شداد ، العلاق الخطيرة ، ص ١٥٤ ، ابن عبدالحق البغدادي ،مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة و البقاع ،جـ٢،ص ٨٠٧ ،ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك ،م ٥ ،جـ١ ، تحقيق الشماع ،ط. البصرة ١٩٧٠م ،ص ٢٢١ ، حاشية (٩٠١) ، العمري التعريف بالمصطلح الشريف ،ط. القاهرة ١٣١٢هـ،ص١٨٢ ،سليمان مظهر " قلعة شقيف أرنون ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٩م ، ص ٢٢٤، سعيد عاشور ، صلاح الدين الأيوبي ، ط. القاهرة ١٩٥٦م .ص٢١٤، احمد الحفناوي ، الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط ، المنهل ، م (٤٦) عام ١٩٨٣م ، ص ٦٧، سرور عبد المنعم الدور السياسي لحصن شقيف ارنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٧م . عبد الله الغامدي ، شقيف ارنون في عصر ا لحروب الصليبية ، مجلة الإنسانيات ، العدد (٧) عام ٢٠٠١م ، ص١٣- ٥٥

٤-قلعة كوكب الهوا ، Belvoire وقعت شرق إقليم الجليل ، وأشرفت علي ضفتي نهر الأردن شمالي وادي بيسان ، وعرفت في المصادر الصليبية باسم كوكب الهواء ، ولا نزاع في أنها اعتبرت من أهم القلاع في إقليم الجليل ، ويعود تشييدها إلي عهد الملك الصليبي فولك الأنجوي Fulk of Anjou ، وذلك عام ١١٤٠م ، وفيما بعد عهد بها الملك عمور ي الأولAmaury I إلي هيئة الاسبتارية في عام ١١٦٨م ن وقد وصفت بانها كانت صغيرة الحجم و شيدت علي النمط المعماري البيزنطي ،وأحاطها سور مربع الشكل ، وقد احتوت القلعة علي عدة أبراج ، وبصفة عامة سقطت القلعة في عام ١١٨٧م في أعقاب معركة حطين ، عنها أنظر: ابن شداد النوادر السلطانية ،ص ٧٨- ص٧٩ العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ١٢٥ ،ابن الأثير ، الكامل ،جـ١٢ ، ص ٢٢ ،ابن شاهنشاه الأيوبي ،مضمار الحقائق و سر الخلائق ،ص٦٥ - ص ٦٦ الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس و

الخليل تحقيق محمد بحر العلوم ،،ط. النجف ١٣٨٧هـ ، جـ٢ ، ص ٣٥٦،سعيد عاشور الحركة الصليبية نجـ١ ،ص ٦٩٣، نبيلة مقامي

وأرسـوف [١] وهـونين [٢] وتبنـين [٣] و غيرهـا .

،=فرق الرهبان في بلاد الشام ١٢ ،١٣ رسالة ماجستير كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م ،ص٨٣ ،ماهر حمادة ،وثائق الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٧٩م ،ص١٧٧-ص١٧٨،ليلي طرشوبي ، إقليم الجليل،ص٩٠- ٩٥ ،محمود برهوم ومحمد خروب ،قاموس القري الفلسطينية أبان الانتداب البريطاني ،ط. عمان١٩٩٠م ، ص ١٣٤ .

١- قلعة أرسوف Arsuf ، وقعت علي الساحل الفلسطيني بين قيسارية و يافا ، ولدينا وصف موجز له أهمية أورده احد المصادر اللاتينية ، وفيه يذكر أن القلعة المذكورة كانت قريبة للغاية من البحر ووقعت علي رابية صغيرة ، وقد استولي الصليبيون بقيادةجودفري دي بويون علي المنطقة المذكورة و عملوا علي تحصينها ، وفيما بعد خضعت القلعة لعناصر الاسبتارية ،ويلاحظ أنها سقطت عقب معركة حطين عام ١١٨٧م عنها انظر :

Guide Book to Jenusalem, ,Trans J.H. Bernard ,P.P.T.S., vol Vl, London 1894,p.34, The City of Jerusalem Trans C.R. Conder , P.P.T.S., vol,VI, London 1894, p.32, Riley – Smith , The knights of St . John of Jerusalem, London 1967, p.133-134, Id ,The Feudal Nobility in the Latin kingdom of Jerusalem , London 1970,p.60.

محمد مؤنس عوض ، الزلازل في بلاد لاشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ١٢٥.

٢ - قلعة هونين Hunin وقعت فى جبال عاملة قرب بانياس و بعدت عنها بمسافة تبلغ ٣ فراسخ و شكلت مع قلعئ جسر بنات يعقوب خطا دفاعياً تحكم فى الروافد العليا لنهر الأردن ، وقد عمل المسلمون علي شن العديد من الهجمات عليها من أجل إسقاطها ، ومن امثله ذلك ما حدث فيعهد نور الدين محمود ، حيث هاجمها عام ١١٦٧م غير أنها لم تسقط إلا في عام ١١٨٧م في أعقاب معركة حطين عنها انظر : ابن جبير ، الرحلة ،ص ٢٠٠ ، ابن شاهنشاه ،زبدة كشف الممالك ، ص٤٨ ،شيخ الربوة ، نخبة الدهر ،ص ٢١١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ،جـ٤ ، ص ١٤٤ ، الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء مخطوط بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ورقة (٩٧) ، نبيلة مقامي ،فرق الرهبان الفرسان ، ص ١٦.

٣ - قلعة تبنين Toron وقعت علي بعد ١٧ ميلاً من بانياس إلي الجنوب الشرقي منها في مواجهة ساحل صور ، و هناك اختلاف حول تاريخ تشييدها بين عامي ١١٠٤-١١٠٧م ، وبصفة عامة من المرجح تشييدها تم في أوائل القرن الثاني عشر م ، و من خلال رحلة ابن جبير نعرف أن عندها كان تمكيس القوافل القادمة من دمشق ،وقد سقطت القلعة المذكورة عام ١١٨٧م في أعقاب معركة حطين عنها انظر :فتح البنداري ، سنا البرق الشامي ،ص ٣٢٣. ياقوت ، معجم البلدان ،ج،١ ،ص ٨٢٠ ابن جبير ، الرحلة ،ص ٢١٠ ،ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ،جـ٢ ،ص ١٥٢ ، الخالدي ،المصدر السابق ،ورقة(٩٧) ، عاشور ، الحركة الصليبية ،جـ٢ ،ص ١١٤٦ ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص١١٦- ص١١٧..Runciman A.history of theCrusades , vol ,II,p.324- 325

Riley- Smith , The Feudal Nobility, p.198.

القوة التي ظلت تعتمد عليها لعشرات السنين الماضية ، ويتأكد سقوطها الجماعي علي هذا النحو ، وخلال مرحلة زمنية مركزة أنها لم تستطع أن توفر الغزاة الأمان عندما واجهوا أول معركة حاسمة كبيرة في حياتهم .

و علي الرغم من النجاح الذي حققه الجيش الأيوبي في إسقاط أغلب القلاع الصليبية ؛ إلا أن هناك قلاعاً أخري استعصت عليه مثل حصن الأكراد [١] ، والمرقب [٢] نظراً لحصانتهما و ضخامتهما و استبسال الصليبيين في الدفاع عنها .

١- حصن الأكراد ،يسمي قلعة الحصن أو قلعة الفرسان Crac des Chevaliers وقدوقع علي طريق القوافل الواقعة إلي الشمال من حمص و حماه من جهة و طرابلس و طرطوس من جهة أخري و ذلك في وادي النهر الكبير وهو علي بعد ٢٤٠ ك. م من دمشق و ١٤٠ ك.م من طرابلس و ٤٠ ك.م من حمص ، وقام بتوفير الحماية لإمارة طرابلس الصليبية و امتاز بحصانة كبيرة و ضخامة بنائه و اعتبره الباحثون درة العمارة الصليبية الحربية في بلاد لشام عنه انظر :

Marino sanuto ,Secrets for True Crusaders to help them to recover the Holy land Trans . Aubrey Stewart ,P.P.T.S. ., vol .VII , London 1896,p.5 , Deschamps, Les Chateaux des Croises en Terre Sainte , T.I,Le Crac des Chevaliers ,paris 1934, Richaui, Le Crac des chevaliers Guide Touristique et Archaeologique, Damas 1975 , Fedden ,Crusader Castles ,Beirut 1957,p.50 , Lawrence , Crusader Castles , vol , l,London 1936, p.47 , Boase, kingdoms and Strongholds of the crusades, London 1971,p.80 , Bradford , The Shield and the Sword ,p.27,king ," The Taking of le krak des chevaliers 1271", A., vol XXIII, March 1949 ,pp.83 – 97, Nicolle, Crusader Castles in the Holy Land 1192- 1302 , London 2005 ,pp.31- 32.

مرفت سعيد ، حصن الأكراد و دوره في الصراع الصليبي – الإسلامي (١١٩٣- ١٢٩١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، عبد العزيز عبد الدايم ، إمارة طرابلس في القرن الثاني عشر م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ، ص ٤١ ، أبو الفرج العش ،آثارنا في الإقليم السوري ط. دمشق ١٩٦٠م ، ص ٩٦ ،يوسف سمارة جولة في الإقليم الشمالي ،ط. القاهرة ١٩٦٠م ،ص ٦٢، نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربي ،ط. القاهرة ١٩٤٦م ، ص ١٠٥ ، مصطفي طلاس ووليد الجلاد ، قلعة حصن الأكراد ،ط. دمشق ١٩٩٠م.

٢- المرقب ، وقع ذلك الحصن في الجنوب الشرقي من بانياس الساحلية ، وورد في المصادر الصليبية علي أنه Castrum Margatum وقد سمي في المصادر العربية بالمرقب علي أساس أن الآهلة كانت ترصد منه و ترقب نظراً لارتفاعه ، وقد سيطرت عليه هيئة الاسبتارية ، عنه أنظر :

أبو الفداء ،تقويم البلدان ،ص ٢٥٥، ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام و العصور بسيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ،ط. القاهرة ١٩٦١م ، ص٨٥ ،ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٦٧ ، مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك ،

من جهة أخري ، كان صلاح الدين رجلاً واعياً مدركاً لوجود الأهم ثم المهم في مجال الصراع العسكري ، ولذلك لم يندفع وراء مشاعره الدينية الجياشة كقائد مسلم ، ويتجه نحو تحرير بيت المقدس من قبل فتح مدن الساحل الشامي ،وكذلك إسقاط عشرات القلاع الصليبية الحصينة [١] ، وبالتالي ؛ تأكد لنا أن قراره العسكري و السياسي كان قراراً صائباً ، و الفضل في ذلك يرجع إلي المستشارين الذين أحاطوه بالرأي السديد ، و النصيحة الصائبة ، وكانوا خير أعوان له في جهاده ضد الصليبيين بالإضافة إلي عدم انفراده بالرأي .و من بعد ذلك جاءت اللحظة التاريخية الفاصلة و الفارقة في صورة دخول القائد المذكور بيت المقدس في يوم الجمعة ٢ أكتوبر ١١٨٧م [٢]، وكان يوماً يوافق ليلة الإسراء ،و المعراج في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ بعد أن ظلت في الأسر الصليبي

= نشر زترشتين ،ط. ليدن ١٩١٩م ،ص ٢٤٢ ، ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ط. القاهرة ،جـ١ ،ص ١١٦ ، آمال هاشم ،المرقب و قلعتها و دورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥- ١٢٩١م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٧م .

Dussaud, Topographie Historique de La Syrie Antique et Medievale ,paris 1903 1,p.`52.

Ziada,"The Mamluk Sulttan to 1293" , setton, A History of the Crusades, vol. II ,p.252.

١-أود توجيه نظر القارئ إلي قيام الباحثة إيمان كامل ثابت حالياً بإعداد رسالتها للماجستير عن القلاع الصليبية في القرن ١٣ م ،وأتوقع أنها ستكون رسالة قيمة .

٢- عن فتح بيت المقدس أنظر : ابن الأثير ، الكامل ،جـ١١ ، ص ٢٢٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،جـ٢، ص ٢١٥ ،سبط الجوزي ،مرآة الزمان ،جـ٨ /ق ١ ، ص ٣٩٧ ، ابن الشحنة ، روضة المناظر ،بها مش الكامل ، ص ٣٨ .

Dajani , " " Some Medieval accounts of salah Al-Dins,s recovery of Jerusalem (Al-qudds), S.P.1988,pp.83- 113.

ملكوم ليونتز وجاكسون ، صلاح الدين ، ت. علي ماضي ، مراجعة نيقولا زيادة و فهمي سعد ،ط. بيروت ١٩٨٨م ، ص ٣٢٠ ، عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية و تأثيرها علي العلاقات بين الشرق و الغرب ، ت. عفيف دمشقية ،ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص ٢٤٩ ، علي عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي و العالم الإسلامي ،ط. الرياض ١٩٨٢م ، ص ١٠٦ ، محمد حسن شراب ،بيت المقدس و المسجد الأقصى ،دراسة تاريخية و وثائقية ،ط. بيروت ١٩٩٤م ، ص ١٢٩-ص ١٣٠ ، محمد علي حلة ، القدس الشريف حقائق التاريخ و آفاق المستقبل ،ط. مكة المكرمة ٢٠٠١م ، ص ١٧ ،محمد عبد المنعم عامر ، تحرير القدس و دعاوي الصهيونية الباطلة ،ط. القاهرة٢٠٠١م ، ص ٦١ ، مجموعة من الباحثين ، صلاح الدين قاهر الصليبيين ،ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص ٧٩.

٨٨ عاماً [١] .

تجدر الإشارة إلي أن ذلك السلطان المتسامح لم يرق قطرة دماء صليبية واحدة في تلك المدينة المقدسة ، وبالتالي كشف عن حضارة الإسلام ، وأظهر للتاريخ البون الشاسع بين تحضره ، ووحشية ،و بربرية الصليبيين عندما اقتحموها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م [٢] ـ كما أسلفت الإشارة من قبل – ومن المتصور أن ذلك الموقف التاريخي المشهود جعل ذلك القائد المسلم يحتل مكانة سامية حتى في قلوب أعدائه و بالتالي ؛ قدم المثال الوضاح البارز علي التسامح و السلام في عصر اشتهر بسفك الدماء [٣] ، و لدينا شهادة تاريخية من النصف الثاني من القرن العشرين بقلم المؤرخ البريطاني الشهير السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman تعليقاً علي ذلك الموقف حيث قال ما نصه :"أنه أثبت بالدليل القاطع ما لدي الشرق من روح ، ففي قرون حطين ،و علي أبواب بيت المقدس انتقم صلاح الدين لما حدث " في الحرب الصليبية الأولي من المهانة، و الإذلال ، و أثبت كيف يحتفل الرجل الشريف بانتصاره [٤].

و أود أن ألفت نظر القارئ العربي إلي أن ذلك التصرف النبيل من جانب السلطان الأيوبي المتسامح حدث في القرن الثاني عشر م في عصر لم تكن فيه اتفاقية جنيف الرابعة لتنظيم معاملة الأسري ،وما أحوج عالمنا الذي يصف نفسه بالتحضر بأن يأخذ من موقف ذلك السلطان درساً بارزاً خاصة من تلك الاتفاقية تنتهك يومياً في فلسطين ،و غيرها .من ناحية أخري ،ألزم كل رجل يدفع ١٠ قطع ذهبية و ٥ قطع ذهبية للمرأة وقطعة واحدة للطفل [٥] و تم منحهم أربعين يوماً لمغادرة المدينة ، وتقرر تركهم الخيول

١ـ قد قرر جواهر لال نهرو أنها ظلت في قبضة الصليبيين ٧٠ عاماً ، وهو أمر جانبه الصواب لأن المدة هي ٨٨ عاماً ،أنظر رأيه : لمحات من تاريخ العالم ،ت. مجموعة من الباحثين ،ط. بيروت ١٩٩٧م ، ص٥٢.

٢ـ أنظر :مني حماد ، "صورة المسلمين في المصادر اللاتينية للحملة الصليبية الأولي " ،مجلة أبحاث اليرموك ،م (١٣) العدد (١) عام ١٩٩٧م، ص ٢٦٠.

٣ـ من المهم قراءة هذا البحث :

فايز نجيب إسكندر ، تسامح صلاح الدين مع الصليبيين أثناء حرب تحرير القدس " ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطي ،ط. المنصورة بـ ت ، ص ٣٩ـص ٥٣.

٤ـ تاريخ الحروب الصليبية ،جـ١ ، ت . السيد الباز العريني ،ط. بيروت ١٩٩٣م ،ص ٧٦٥.

٥ـ الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ١٢٧.

و الأسلحة خلفهم [١] ، كما تقرر أن يطلق سراح جميع الفقراء الذين كانوا أكثر من ٢٠,٠٠٠ و لا يستطيعون دفع أية مبالغ ، وذلك في مقابل ١٠٠,٠٠٠٠ [٢] قطعة ذهبية و يلاحظ أنه أفتدى من ماله الخاص قسماً من الصليبيين ممن لم يتمكنوا من فداء أنفسهم بالمال بل ذرف الدمع تأثراً عندما وجد الأسر الصليبية ، و قد تفرقت من خلال الاسترقاق [٣] .

و يلاحظ أن تسامحه لم يقتصر علي أعدائه الصليبيين بل امتد ليشمل عناصر اليهود الذين تسامح معهم الإسلام عموماً في العصور الوسطي [٤] . حيث سمح لهم بالعودة إلي المدينة المقدسة [٥] بعد أن حرم عليهم الصليبيون دخولها عندما استولوا عليها عام ١٠٩٩م ، ويلاحظ أنه من قبل زار عدد من الرحالة الأوروبيين اليهود تلك المدينة

١- مصطفي الحياري ، القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩- ١١٨٧م ،ص ٢٠١ ، حاشية (٩٧) .

٢- مارشال بلدوين ، اضمحلال و سقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩ ،ضمن كتاب الحروب الصليبية ، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عوض ،ط. رام الله٢٠٠٤م ،ص ٢٧٧.

٣- كارين أرمسترونج ، القدس مدينة واحدة و عقائد ثلاث ، ت . فاطمة نصر و محمد عناني ،ط. القاهرة ١٩٩٨م.

٤- من صور تسامح المسلمين مع اليهود في العصور الوسطي بصفة عامة ؛ وولتر فيشيل ،يهود في الحياة الاقتصادية و السياسية للدولة الإسلامية العباسية- الفاطمية - الألخانية ، ت سهيل زكار ،ط. دمشق ٢٠٠٥م ،ص ١٥٥ ،فاطمة مصطفي عامر ، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلي نهاية العصر الفاطمي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، جـ١ ، ص ٣٨٥- ص ٣٨٦ ،حسن الميحي ،أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ،ط. بيروت ١٩٩٨م ، ص ١٣٢ ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الأندلس ،ط. القاهرة .١٩٧٠م ،ص ١١ ، ١٧٧ ،برنار لازار ،مناهضة السامية تاريخها و أسبابها ،ت. ماري شهرستاني ،ط. دمشق ٢٠٠٤م ،ص ٦٤.

٥- عن علاقته باليهود أنظر هذا البحث القيم :

Goitein ," Saladin and the Jews," , H.U.C.A., vol . XXVII, 1950,pp.305- 326.

عطية القوصي "صلاح الدين و اليهود " ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد (٢٤) ، عام ١٩٧٧ أما عن سياسة الصليبيين تجاههم أنظر:

يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ص ١١٤.

ومن أمثلتهم بتاحيا الراتسبوتي Petachia of Ratisbon وقد أشار إلي قلة عدد اليهود فيها [1] ، أما بعد تحريرها عام ١١٨٧م ، فتزايدت أعدادهم فيها .

لا نغفل أن المؤرخ العراقي ابن الأثير أخذ علي ذلك السلطان قيامه بإطلاق سراح أعداد كبيرة من الصليبيين عندما دخل بيت المقدس ، و بالتالي صاروا قوة ضده ، والواقع أن ذلك المسلك من القائد المسلم البارز كان بمثابة فتح صفحة جديدة من العلاقات الإسلامية – الصليبية ، وقد رغب في أن يقدم رسالة مفتوحة للغزاة أمام الآلاف منهم مفادها أنه لا خوف من بقاء الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين تحت السيادة الإسلامية ، وأن التسامح ،و الأمان سيشمل الجميع دونما تعصب و بالتالي ؛ يقضي علي المبرر الأصلي لمقدم الحملات الصليبية إلي المنطقة ،كما أنه أراد أن يغير الصورة الذهنية السيئة عموماً التي طبعت في عقولهم عن الإسلام و أبنائه و أخلاقهم ، وأتصور أن ذلك يعد إنجازاً بارزاً حفظه له التاريخ .

و لا نغفل هنا نقطة مهمة و هي أن ذلك التسامح الذي ظهر جلياً خلال الفتح التاريخي لبيت المقدس كان له أثره البارز في تكوين ما عرف بأسطورة صلاح الدين الأيوبي The Legend of Saladin في الفكر الأوروبي في العصور الوسطي واقع الأمر ، أراد ذلك القائد المسلم السني أن يحدث تغييرات متعددة خاصة أنه رغب في إقامة الخطبة للعباسيين من جديد من علي منبر المسجد الأقصى يوم الجمعة التالية التي توافق يوم ١٠/٩/ ١١٨٧م ، والتي كان لابد من أن تقام دونما تأخير ، ومن هناك كان من المحتم إزالة كافة الإضافات المعمارية التي أحدثها الغزاة من قبل ،ولا نغفل أن فرسان الداوية Templum Solomonis [2] ،وقد قسموه إلي ثلاثة أقسام ؛ الأول

1- Petachia of Ratisbon, Tour du Monde , ou voyage de Rabbi petachia", J.A. T.VIII, paris , 1831,p.399.

حيث وجد في بيت المقدس يهودياً واحداً هو إبراهيم هلتسيفع .

٢- إبراهيم خميس ،العلاقات السياسية بين جماعات الفرسان الداوية و المسلمين في مصر و الشام ،- رسالة دكتوراه ،كلية الآداب –جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص٣٧.

Marino sanuto , Secrets for True Crusaders,p.9.

كنيسة ، والثاني مسكنا لهم ، و الثالث مستودعاً لذخائرهم ، وكان منحهم لذلك المكان سبباً في تسميتهم بفرسان المعبد كما نعلم أنهم حولوا قبة الصخرة إلي كنيسة أطلق عليها معبد السيد Templum Domini .

و الآن جاء وقت تغيير كل ذلك علي نحو عكس أن الاحتلال الغاشم مهما طال عهده فلابد أن تنطق الأرض بعروبتها ،و إسلاميتها ،و زوال ما فعله الغزاة علي الرغم من استمراره قرابة التسعين عاماً ؛ و يعلق البعض علي ذلك كله قائلاً : " ،و هكذا شهدت القدس ،و للمرة الثانية ،و خلال أقل من قرن من الزمان تغييرات أساسية في بعض الجوانب عمرانها و بنية سكانها البشرية ،و إدارتها ،و نمط حياتها " [١] .

وقد قام صلاح الدين الأيوبي بإمداد المسجد الأقصى بالبسط النفسية كذلك تم تعليق القناديل ،وتمت إزالة الصليب الكبير الحجم الذي كان مقاماً في أعلي قبة الصخرة [٢] ، كما تم ترتيب الوظائف الدينية ، و الإدارية في ذلك المسجد ، كذلك قام المسلمون بغسل قبة الصخرة بماء الورد لتطهيرها و أزيلت الصلبان [٣] .

من ناحية أخري تم جلب منبر خشبي بديع من دمشق كان قد أقامه نور الدين محمود خصيصاً لهذه المناسبة التي تمني أن تكون في عهده غير أنه توفي من قبلها بثلاثة

= Bernard The wise, How The City of Jerusalem is Situated, Trans, J.H .Bernard , P.P.T.S., vol ,II, London 1893,p.12.

Arculf , The pilgrimage of Arculfus in the Holy Land , Trans. J.R. Macepherson P.P.T.S., vol , III, London 1895,p.68.

١- مصطفي الحياري ، صلاح الدين ، ص٣٣٥ .

أنظر عن التعديلات المذكورة : عبد الجبار حسن المهدي ، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي و الملوكي ،ط. عمان ١٩٨٠م ، ص ٥٤.

٢- يوسف غوانمة ،" القدس في العصرين الأيوبي و المملوكي " ،ضمن كتاب القدس عبر العصور ، تحرير علي محافظة ،ط. اربد ٢٠٠١م ، ص ٢٠٣ ، سيدة كاشف ، صلاح الين بطل وحدة الصف العربي الإسلامي ، وبطل الجهاد في سبيل الله ،ط. بيروت ١٩٨٦م ،ص ٨٩.

٣- ابن العديم ، زبدة الحلب ،جـ٣ ،ص ٨٤٦ .

عشر عاماً.

مهما يكن من أمر ، أقيمت الصلاة في الجمعة التالي لفتح بيت المقدس في المسجد الأقصى ، و قد خطب في المسلمين القاضي محيي الدين بن ركن الدين [١] ، ولدينا نص تلك الخطبة ، وهي قطعة أدبية صيغت ببراعة و أسلوب أدبي رفيع ، وعكست ارتفاع الروح المعنوية لدي المسلمين بعد أن نجحوا ، ومعهم قائدهم التاريخي في تحقيق ذلك الإنجاز بعد أن ظلت بيت المقدس أسيرة الاحتلال الصليبي خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧م [٢] .

و هكذا يتأكد لنا أن المرحلة الزمنية من ٤ يوليو إلي ٢ أكتوبر ١١٨٧م تعد مرحلة فارقة في تاريخ الصراع الإسلامي - الصليبي ، ويتضح علي نحو جلي كيف أن الكيان الصليبي الذي امتد طوال الأعوام السالفة الذكر انهار خلال شهور قليلة و لم يتبق منه سوي مدينة أنطاكية ، و مدينة طرابلس ، وصور ، وحصن الأكراد، وحصن المرقب [٣] ، ولا ريب في أن " عاصفة التحرير " قلعت ذلك الكيان الدخيل من جذوره إلا القليل ، يبقي أن أذكر أن هناك من الباحثين الأوروبيين من تصور أن ضعف المملكة الصليبية فقط كان أساس انتصار المسلمين في تلك المعركة التاريخية الفاصلة ، وأنه بدون ذلك الوضع السياسي الذي عاشت منه المملكة ما كان ذلك الانتصار ، والواقع أنه مع الاعتراف بأن ذلك شكل حقيقة لا تنكر ؛ إلا أنه كان جزءً من الحقيقة ، و ليس كلها ، إذ أن هناك أيضاً حركة الوحدة بين مصر، و بلاد الشام ، و هي تلك الوحدة التي حذر منها أحد القادة الصليبيين في صورة برنارد دي بلانكفور Bernard de Blanquefort مقدم الداوية Templars خلال المرحلة من ١١٥٦-١١٦٩ م، عندما قال : " إن اشد ما يبعث الخوف في نفسه هو أن يقوم أمير مسلم واحد بإعادة توحيد المملكتين البالغتي القوة في القاهرة و دمشق و يمحو اسم النصارى ذاته [٤]

١- ابن العديم ، زبدة الحلب ،جـ٣ ، ص٨٤٥.

٢- و قد تصور بوزورث خطأ أنها ظلت في أيدي الصليبيين ٨٠ عاماً ، والصواب نحو ٩٠ عاماً ، أنظر : كليفورد بوزوث ، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في تاريخ و الأنساب ، ت. حسين علي اللبودي ،ط. القاهرة ١٩٥٠م ، ص ٩٧.

٣- سعيد عاشور ، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ، ص ٦٢ ، ياسين سويد ، صلاح الدين و استراتيجية التوحيد للتحرير ، ص ١٣٣.

4-Howarth , The knights Templars , London 1982,p.125.

و أمر تلك الوحدة كلف صلاح الدين الأيوبي مرحلة زمنية من تاريخه امتدت من ١١٧١إلي ١١٨٧م و هو ما تم تخصيص فصل سابق لمناقشته .

و الواقع أن من أهم النتائج التي نتجت عن معركة حطين ؛ عودة السيادة السياسية الإسلامية علي مصادر المياه في المناطق التي خضعت من قبل لسيطرة الصليبيين ، ولا نغفل هنا ملاحظة أن الجيش الأيوبي عمل علي إخضاع بحيرة طبرية [١] حتى قبل حدوث المعركة في ٤ يوليو ١١٨٧م ، ولا أتصور أن الهدف من وراء إخضاع تلك الأنهار و البحيرة المذكورة بالإضافة إلي تحرير مساحات وافرة من الأرض التي أقام عليها الغزاة كيانهم بما فيها القلاع الصليبية المتعددة ؛ تمثل في استخدامها كورقة ضغط رابحة في أي مشروع تفاوضي مستقبلي ،و فرض واقع جيوبولوتيكي جديد غير مسبوق ليس - بالتأكيد – في صالح الجانب الصليبي الذي وجد غالبية كيانه يتهاوى في غضون حوالي ٩٠ يوماً تقريباً .

و لا نغفل أنه بدون إدراك التغيرات التي أحدثتها تلك المعركة في زاويتي المياه ،و الأرض ، ليس في مقدورنا إدراك النتائج الكبرى التي حدثت من جرائها .

و هكذا ، فليس بالغريب أن يكون أمر التعطيش واضحاً تماماً في المصادر العربية و بدونه ما أمكن أصلاً تحقيق الانتصار العسكري الحاسم في الصدام بين الجانبين لصالح المسلمين .

و بالتالي يمكن القول دونما أية مبالغة ، أن الأمن المائي للمسلمين كان في ذهن القيادة الأيوبية الواعية لآليات الصراع مع الصليبيين ، وهكذا ، فلم يكن الأمر مجرد صراع عسكري كما توهمنا الإشارات المصدرية المفصلة ، بل إن الأمر تجاوز ذلك بمراحل لما هو أرحب ، وأتصور أنه لم يحدث طوال ٩٠ عاماً أن تمكن المسلمون من فرض معركة علي الصليبيين يخرجون فيها منتصرين ، و يضعوا في أيديهم مفاتيح الأمن

= نقلا عن :مصطفي الحياري : " القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧م " ، ضمن كتاب القدس في التاريخ ، تحرير و ترجمة كامل جميل العسيلي نط. عمان ١٩٩٢م ، ص ١٨٧ .

١- يلاحظ أن ذلك كان يعني اتباع سلاح التعطيش وهو سلاح فتك في كل عصر عن ذلك أنظر : نظير حسان سعداوي ، التاريخ الحربي في عهد صلاح الدين ، ص ١٨٤ ، عبد العزيز سيد الأهل ، أيام صلاح الدين ، ص ١٩٦ ، محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبي ، ص ٤٢٠- ص ٤٢١.

المائي في بلاد الشام في قبضتهم مثلما حدث في حطين .

و هكذا فإن إسقاط المملكة الصليبية جاء من خلال فعل عسكري تم الإعداد له ببراعة ،و تنفيذه باقتدار وندرك تماماً أن سقوط الكيانات في التاريخ من الداخل قبل الخارج ، ولكن لابد من العامل الخارجي الذي يحسم القضية ، و يضع الخطوط النهائية ، وبالتالي فإن تحجيم أمر معركة حطين أمر يخالف المنطق التاريخي باعتبارها معركة حاسمة فاصلة فرضت واقعاً جيوبولوتيكياً جديداً في المنطقة ،و أنهت سيادة السياسية الصليبية علي معظم الأرض و المياه ،وهما أساس الوجود السياسي أصلاً .

من ناحية أخري ، أود الإشارة إلي أن تلك المعركة صارت جزءً من العقل الجمعي القمعي ، و المسلم منذ القرن الثاني عشر الميلادي ،و حتى كتابة هذه السطور ،و فيما بعد ذلك ، فإذا ذكر صلاح الدين الأيوبي ، ذكرت معه تلك المعركة الفارقة في تاريخ المسلمين في القرون الوسطي ، و تحول قائدها المسلم رمزاً للجهاد الإسلامي .

و من الملاحظ أنه لا يخلو كتاب في التاريخ الحربي عبر العصور و تحديداً في العصور الوسطي إلا ، وقام المؤلف بإعداد قسم عن تلك المعركة ، وهذا ،ما نجده لدي المؤرخ البريطاني تشارلز أومان Charles Oman فى كتابه فن الحرب فى العصور الوسطي وكذلك إجمبرجر Egemberger في كتابة قاموس المعارك ، وما ذكرته أمثلة فقط تدل علي صدق تلك المقولة .

أما في كليات الحرب و الدفاع علي مستوي العالم فإن مادة التاريخ الحربي لابد ،وأن تتعرض لدراسة معركة حطين باعتبارها من المعارك الفاصلة في تاريخ العصور الوسطي شأنها في ذلك شان معركة اليرموك [1] ٦١٦م

١- عن معركة اليرموك بين المسلمين و البيزنطيين أنظر : البلاذري ، فتح البلدان ،ط. بيروت ١٩٥٨م ، ص ٦٩-ص ٧٢.

Nicolle , yarmuk ad 636 the Muslim conquest of Syria, Oxford 1994,pp,46-86, kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests,Cambridge 2000,pp.112-146, whittow , the Making of Byzantium 600 – 1025 Los Angelos 1996,p86,p.89,Diehl ,History of the Byzantine Empire , Trans Ives, Princeton 1925,p.43.

وعين جالوت ١٢٦٠ [١] ، و غيرها .

من زاوية أخري ، أتجه أحد كبار المؤرخين العرب إلي القول بأن معركة حطين تأخرت سبعين عاماً [٢] ، وقد تصور أنه سبقتها معركة الأقحوانة التي جرت وقائعها عام ١١١٣م ، - التي سبق و أن أشرنا إليها من قبل – بين شرف الدين مودود و طغتكين و الملك بلدوين الأول ، وفي رأيه أنه كان من الممكن استغلال تلك المعركة و القضاء علي الوجود الصليبي تماماً خلال تلك المرحلة المبكرة بعد ١٦ عاماً من تاريخ وجوده في المنطقة .

و الواقع أن مثل ذلك التصور يحوي نوعاً من البكاء علي الأطلال ، والحديث عن الفرص التاريخية الضائعة ،و دراسة أحداث ١١١٣م تؤكد بالفعل عدم إمكانية تحقيق مثل ذلك الإنجاز نظراً للصراعات القائمة بين بعض القيادات الإسلامية حينذاك التي

=جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ت. خيري حماد ،ط. بيروت ب-ت ص ١٤٢ ، عبد القادر الراوي، الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام ،ط. بغداد ١٩٩٨م ، ص ١٥٣ ،دافيد نيكول اليرموك و الفتح الإسلامي للقدس ، ت. سهيل زكار ،ط. دمشق ٢٠٠٢م ، ص ٧٧ – ص ٢٦٦.

١- معركة عين جالوت أنظر :

القلقشندي ، صبح الأعشى ،جـ٧ ، ص ٣٦٠ – ص ٣٦١.

Thorau , " The Battle of Ayn Jalut: a Re- consideration ", in Crusade and Settlement (ed.)Edbury,Cardiff 1985,pp.235-239.

محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغولي للعالم الإسلامي ،ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص٧٥ ، فؤاد عبد المعطي الصياد ،المغول في التاريخ ،ط. بيروت ١٩٨٠م ، ص ٣٠٩ – ص ٣٢١ علي السيد علي ، " الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت " ، ضمن أثر الإسلام في مصرو أثر مصر في ا لحضارة الإسلامية ، إشراف قاسم عبده قاسم ،ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٣٦٥- ص٤١٧، عبد الله الغامدي ،جهاد المماليك ضد المغول و الصليبيين في النصف الأول من القرن السابع الهجري ،منشورات جامعة أم القري ،ط. مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ ، ص ١٢٦- ص ١٣٥ حيث يعرض علي نحو متميز لنتائج المعركة ، محمد فتحي أمين ، الغزو المغولي لديار المسلمين ،ط. دمشق ٢٠٠٥م ، ص ١٣١-ص ١٥٦ ، عماد عبد السلام رؤوف ،معركة عين جالوت ،معركة عين جالوت ،ط. بغداد ١٩٨٦م .

٢- عن ذلك أنظر : شاكر مصطفي ، حطين و الفرص الضائعة ، مجلة العربي ، العدد (٣٤٤) ،يوليو ١٩٨٧م، وتوجد في كتابه تاريخنا و بقايا صور، ط. الكويت ١٩٨٩م ، ص ٧١-ص ٨٢.

كانت تخشي علي مناصبها ، ولم تكن مخلصة لقضية الجهاد ، كما أن مصر كانت خارج القضية بحكم خضوعها للسيطرة الفاطمية الشيعية ، وأري فوارق عديدة بين الوضع العسكري ، و السياسي للمسلمين عام ١١١٣م ، وعام ١١٨٧م .

و لا أدل علي صحة مثل ذلك التصور المعارض لفكرة الفرص الضائعة ؛ أن التاريخ ذاته لا يحوي ما يوصف بالفرصة الضائعة ، فالحدث التاريخي – عموما- لا يحدث إلا من خلال جملة دوافع سياسية، واقتصادية ، و عسكرية متعددة فلا يوجد تقديم أو تأخير .

من جهة أخري ، نلاحظ أن قائد الجهاد شرف الدين مودود قد اغتيل من خلال مؤامرة بعد فترة وجيزة من أحداث تلك المعركة ، علي عكس أن البيت الإسلامي كان مفككاً علي الرغم من الصحوة العسكرية التي قادها أتابك الموصل ،واغتياله يمثل الدليل الأكبر علي أنه لم تكن هناك فرصة حقيقية لاستغلال انتصار الأقحوانة نظراً لتصارع المسلمين .

و لا نغفل أن المقارنة بين الأقحوانة و حطين مقارنة نظرية أبعد ما تكون عن الواقعة فالأولي معركة محدودة ولم ينجم عنها نتائج بارزة علي الواقع الجيوبولتيكي و العكس تماماً نجده لدي حطين التي كانت بمثابة الزلازل الذي غير خريطة المنطقة إلي حد كبير .

واقع الأمر ؛ فإن إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية علي أيدي المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي تجعلنا نعقد مقارنة بينه و بين الملك الصليبي بلدوين الأول [١]

من حيث الدور التاريخي و أوجه التشابه و الاختلاف ،وأتصور أن المقارنة بين القيادتين المسلمة ،والصليبية من شأنها تعميق فهمنا لحقيقة ما حدث عام ١١٨٧م ،و تداعياته .

فالملاحظ أن القائدين المذكورين يتشابهان من حيث أنهما أبرز حاكمان علي المستوي الإسلامي و الصليبي علي مدي القرن ١١م ، و قد أفاضت المصادر التاريخية

١- أفضل دراسة عربية عن ذلك الملك الصليبي قامت بإعدادها تلميذتي / هنادي السيد محمود بعنوان مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م ، وقد توليت الإشراف علي الرسالة المذكور بالاشتراك مع ا.د. أحمد رمضان .

المعاصرة في تناول دورهما التاريخي ، ولا نغفل أن بلدوين الأول ؛ هو المؤسس الفعلي لمملكة بيت المقدس الصليبية بينما صلاح الدين الأيوبي هو الذي قاد فعلياً إسقاطها و من ورائه السلمون .

من جهة أخري نجد أن الملك الصليبي المذكور قد حكم خلال المرحلة من ١١٠٠ إلي ١١١٨م و بالتالي يكون قد استغرق نحو ١٨ عاماً في تأسيس ذلك الكيان علي الأرض المسلمة ،و عند وفاته عام ١١١٨م ، كان قد ترك للصليبيين مملكة واضحة المعالم الجغرافية و السياسية بعد أن تولي أمر الصليبيين ،وهي نفس الفترة تقريباً التي استغرقت صلاح الدين الأيوبي في تحقيق انتصار حطين علي وجه التقريب حيث بلغت ١٦ عاماً و تحديداً من ١١٧١ إلي ١١٨٧م .

كما اتفق القائدان في أن كل منهما أدرك قيمة الزمن فالملك الصليبي المذكور حقق إنجازاته خلال تلك الأعوام ،و لم يضع وقته سدى في صراعات جانبية لا طائل من ورائها ، ونفس الأمر حدث بالنسبة للسلطان الأيوبي الذي استغل كل فرصة ممكنة و لم يضع الزمن هو الآخر علي الرغم من كثرة الخصوم و التحديات التي واجهته من جانب المسلمين ، و كذلك الصليبيين علي حد سواء ، وبخاصة الفريق الأول ،وإن كنت أعتقد أن الأخير كان إدراكه لعنصر الزمن أكثر براعة بحكم كثرة التحديات و العقبات ،و تجاوزها .

ومع ذلك ، هناك عدة جوانب اختلف فيها القائدان ، ومن أبرزها أن ذلك الملك قدم من خلال حركة تاريخية غازية للمنطقة لا تعتمد علي أساس أخلاقي تاريخي حقيقي إلا من خلال الأطماع الجامحة في ثروات المسلمين الاقتصادية – علي الرغم من الغطاء الديني التبريري لتجميل وجه الحركة – أما صلاح الدين فهو ابن الأرض ذاتها التي تعرضت للغزو الخارجي ،وبالتالي فقد عبر عن مبدأ أخلاقي دفاعي مشروع في وجه تلك الاتجاهات العدوانية خلال مرحلة مؤثرة و فعالة من مراحل العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطي .

كذلك لا نغفل أن مهمة بلدوين الأول كانت أيسر من صلاح الدين الأيوبي ، إذ أنه اعتمد علي الدعم الأوروبي البحري خاصة من المدن الإيطالية الثلاث الكبار جنوة ، و البندقية ،و كذلك النرويج في السيطرة علي أغلب مدن الساحل الشامي . أما السلطان الأيوبي فقد اعتمد في الغالب الأعم علي موارد دولته من أجل استرداد تلك الأملاك التي أغتصبها الصليبيون – و يكفي أن نسترجع أدواره التاريخية في إسقاط

الدولة الفاطمية بعد جهد جهيد و توحيد القاهرة ، ودمشق ، وحلب ، وفرض سيطرته السياسية علي الموصل ؛ كي ندرك أن الطريق لم يكن سهلاً ميسوراً أمامه .

و لا نغفل أن صلاح الدين الأيوبي نجح في إخضاع مصر لسيطرته عام ١١٧١م – كما أسلفت العرض من قبل – و لم يتمكن بلدوين الأول من ذلك عام ١١١٨م و لم يستطع إلا القيام بحملة استكشافية لا أكثر و يشاركه بالطبع في ذلك الأمر الملك عموري نفسه فيما بعد .

كما لا نغفل اتساع مساحة النطاق الجغرافي الذي تحرك فيه السلطان الأيوبي مقارنة بنفس الأمر لدي الملك الصليبي ، فالأول توزع مجاله بين قارتين أفريقيا و آسيا ، أما الثاني فإن دوره التاريخي لم يتجاوز الحدود الفلسطينية في الغالب الأعم و ذلك باستثناء الحملة المذكورة الإفريقية الطابع .

أما الفارق الكبيرين القائدين أن بلدوين الأول صنع إنجازه التاريخي – من وجهة النظر الصليبية – في وقت كان فيه المسلمون يعانون من التشرذم السياسي التصارع المذهبي و كان ذلك العامل عنصراً أساسياً في تمكنه من تحقيق نجاحه ، بمعنى آخر أن المسلمين – دون أن يدروا - ساعدوا أعداءهم الصليبيين بينما الأخيرين – وقت مهاجمة صلاح الدين لهم – لم يكونوا علي نفس الدرجة التي كان عليها المسلمون عليها في العقدين الأولين في القرن ١٢م عندما قام بلدوين الأول بدوره كملك للمملكة الصليبية ويبقي هناك فارق آخر بين الرجلين ، إذ أن صلاح الدين الأيوبي صار بعد وفاته باقياً من خلال تلك الأسطورة التي نسجت من حوله حتى لدي أعدائه من الصليبيين و كذلك في الغرب الأوروبي بعد وفاته و ذلك كله يعني أن السلطان الأيوبي كما أكثر بقاءً في التاريخ مقارنة بالملك الصليبي المذكور .

من جهة أخري ، ردد البعض مقولة تري أن المصريين دون غيرهم هم الذين استردوا بيت المقدس في أعقاب معركة حطين ، وقد أورد أحد المؤرخين المصريين الرواد ما نصه : " تحققت معجزة استرداد بيت المقدس من الصليبيين علي يد عسكر مصر وحدهم من دون عسكر المسلمين جميعاً" [١] .

و يلاحظ أن ذلك التصور جانبه الصواب إذ أن جيش صلاح الدين الأيوبي احتوي

١- عبد المنعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، ص ١١٧.

العديد من العناصر مثل الأكراد ، والترك ، والعرب ، و عناصر المصريين ، وليس من المنطقي القول بأن استعادة بيت المقدس تم علي أيدي الآخرين دون غيرهم من المسلمين ، ويمثل الرأي السابق اتجاهاً وطنياً متحمساً أنعكس علي الكتابة التاريخية دون إدراك الواقع التاريخي الذي يؤكد اشتراك عناصر متعددة في صنع الإنجاز ، الذي يوصف بأنه " معجزة " لأنه من فعل بشر اخلصوا لقضية الجهاد ،وتم ذلك بتوفيق الله تبارك و تعالي من قبل و من بعد .

تبقى زاوية أخيرة عن تلك لمعركة ، إذ أن التاريخ شهد قادة انتشوا بخمر الانتصار ، وبالتالي فتكوا بأعدائهم ، غير أنه في حالة واقعة حطين ، وجدنا أن صلاح الدين الأيوبي يتمكن من السيطرة علي أي شعور بالانتقام و الثأر ، ولذلك يمكن أن نصف تلك الواقعة بأنها معركة أصلاً دفاعية ، وهي حضارية لأن المسلمين فيها دافعوا عن أرضهم المسلوبة التي أغتصبها الصليبيون علي مدى قرابة تسعة عقود ، فهم لم يعتدوا بل دافعوا و تلك زاوية علي جانب كبير من الأهمية ، فإذا ما لاحظنا كيف أنها لم تصاحب بتطهير عرقي أو إبادة جماعية للصليبيين في بيت المقدس كما حدث عام١٠٩٩م ، وما تلاه ؛ أدركنا أن حطين تقدم درساً لكل منتصر عبر عصور التاريخ في كيفية أن يكون انتصاره العسكري راقياً و متحضراً دون سفك لدماء المدنيين الذين هم أصلاً خارج نطاق العمليات العسكرية ، وبالتالي فإن مثل ذلك الصدام الحربي بين الجانبين الإسلامي و الصليبي انتصر فيه المسلمون حضارياً قبل أن ينتصروا فيه حربياً علي نحو أدي إلي تعميق صورته في التاريخ بجدارة .

و أود هنا أن أقدم مقارنة موجزة بين صلاح الدين الأيوبي ،و إمبراطور بيزنطي عاصر القرن السابق علي قرن ذلك السلطان المسام في صورة الإمبراطور باسل الثاني Basil II (٩٧٦- ١٠٢٥م) ، وما فعله بعد أن انتصر علي أعدائه من البلغار Buglers في معركة كيمبالونجر Kimbalongou في يوليو ١٠١٤م [1] ،وقد نتج عن

١- عن تفاصيل صراع باسل الثاني مع البلغار أنظر :

Gibbon, The History of decline and Fall of the Roman Empire , vol,III, New York 1955,pp.1939-1942, Ostrogorsky , history of the Byzantine state, Trans. J.Hussey, Oxford 1956,p.268, Stephenson,The Legend of Basil the Bugar Slayer , Cambridge, 2003,pp.32- 48.

وعن انتصارهم في معركة كيمبالونجو ، انظر : حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ،ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٥٨ ، عمر كمال توفيق ،تاريخ الدولة البيزنطية. الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص ١٧٠ ،أسد رستم ، الروم في سياستهم

و لا مراء في أن ذلك كله يزيد من تقديرنا لمسلك السلطان صلاح الدين المتسامح ذلك أمر معركة حطين الفاصلة و التي شكلت ذروة انتصارات صلاح الدين الأيوبي و جيشه بمختلف عناصره حتى أصغر جندي شارك في صنع ذلك الانتصار ، لكن كان من المنطقي أن يحدث ذلك الانتصار الذي كان أشبه بالزلزال أثاراً كبيرة .

ذلك عرض عن معركة حطين الحاسمة بين المسلمين و الصليبيين .

obeikandl.com

= و حضارتهم و دينهم و ثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،ط. بيروت ١٩٥٦م ،جـ٢ ، ص ٥٨ ،محمد مؤنس عوض ، الإمبراطورية البيزنطية ،دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ، ص ٢٩٠- ص ٢٩١.